مُفَارَقَةُ المَوقِفِ فِي شَكْوَى تَجَنِّي الصَّدِيقِ فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِي

د . مروة شحاته محمود الشقرفي

أستاذ الأدب الأندلسي المساعد

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب ـ جامعة دمنهور

مُفَارَقَةُ المَوقِفِ فِي شَكْوَى تَجَنِّي الصَّدِيقِ فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ

مروة شحاته محمود الشقرفي

قسم الأدب الأندلسي – قسم اللغة العربية وآدابها– كلية الآداب . جامعة دمنهور – مصر

البريد الإلكتروني :marwa.mahmoud@art.dmu.edu.eg

المُلَخَّص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة مُفَارَقَة الموقف فِي شَكْوَى تَجَنِّي الصَّدِيقِ فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ ، بما تَحْمِلُهُ من انفعالٍ لغويّ بلاغيّ يَرْتَكِزُ على إقامة علاقات ذهنيَّة جديدة بين الألفاظ ، ويكشف عن خِبْرَة بالحياة الاجتماعيَّة ، ورؤية فلسفيَّة عميقة للأشياء ، ويَعْتَمِدُ على تسجيل التناقُض أو التنافُر بين طَرَفَينِ مُتَقَابِلَينِ ؛ لإثارة دهشة القارئ ، وتحريك ذِهْنِهِ – بعد انقلاب الحال المفاجئ – بين المُتَوَقَّع والواقع .

والصداقة صُورَة من صُوَر الأُلْفَة والترابُط الاجتماعيّ بين الأشخاص ، وعلاقة إنسانيَّة سامية ، تقوم على المُشَابَهَة ، وكثيرًا ما شَكَا شعراء الأندلس جنايةَ صديق السُّوء ، والأذى الذي لَحِقَهُمْ مِنْ جَرَّاء مُصَاحَبَتِهِ ؛ فظهرت المُفَارَقَة ، التي تقوم على المُخَالَفَة .

ومُفَارَقَةُ الموقف أُسْلُوب مُثِير ، يُعَبِّر – بطريقة غير مباشرة من خلال التكثيف الدلاليّ – عن موقفٍ عُدْوَانِي وصَرْخَةٍ واعية ، ويُمَثِّلُ نَظْرَةَ شُعَرَاءِ الأندلس إلى الصديق الغادر ، ويُظْهِرُ نَبْرَة الشكوى ؛ بغرض التهكُّم والاستهزاء ، الذي يُخْفِي وَرَاءَهُ الخِزْي والأَسَى .

وقد تَضَمَّنَ البحثُ تمهيدًا وخمسة مباحث وخاتمة ، ورَصَدَ التمهيد : مُصْطَلَح (المُفَارَقَة) ، والمُفَارَقَة في التراث النقديّ الغربيّ ، والمُفَارَقَة في التراث النقديّ العربيّ ، والمُفَارَقَة في النقد العربيّ الحديث ، ومفهوم (الصَّدَاقَة) ، والصداقة من منظور فَلْسَفِيّ ، والصداقة من منظور عِلْمِ النَّفْس ، والنظريات المُفَسِّرة للصداقة ، وتناول المَبْحَثُ الأَوَّلُ : مُفَارَقَة التنافُر البسيط ، وعَرَضَ المَبْحَثُ الثَّانِي : مُفَارَقة الأَحْدَاث ، ورَصَدَ المَبْحَثُ الثَّالِثُ : المُفَارَقَة الدِّرَامِيَّة ، ودَرَسَ

المَبْحَثُ الرَّابِع : مُفَارَقَة خِدَاع النَّفْس ، وعَالَجَ المَبْحَثُ الخَامِسُ : مُفَارَقَة الوَرْطَة.

وكَشَفَ البحثُ عن تَوَفُّرِ الحِسِّ المُفَارِقي لدى شعراء الأندلس ، وجاءت شكوى تَجَنِّي الصديق في إطار النقد الاجتماعيّ ، الذي يُظْهِرُ مُفَارَقَاتٍ ساخرة ، قَدَّمَهَا الشاعرُ الأندلسيُّ فِي حُلَّةٍ هَازِئَة .

ومفارقة الورطة هي أكثر أنواع المفارقات وُرُودًا في البحث ؛ مِمَّا يكشف غفلة الشاعر ، ويعكس القيم الأخلاقية الفاسدة التي تَسَرَّبَتْ إلى المجتمع الأندلسيّ .

وقد اتَّبَعْتُ المنهج الوصفيّ ، بوصف المفارقة آلية من آليات تحليل النص ؛ إذ تعتمد على الدراسة العميقة للنص ، إلى جانب المنهج الفنيّ ، الذي يساعد على تَذَوُّقِ النصوص الشعريَّة .

الكَلِمَاتُ المِفْتَاحِيَّة : مُفَارقَة المَوقِف – تَجَنِّي الصَّدِيق – الشِّعْر الأَنْدَلُسِيّ .

irony of the situation in a complaint of the unfaithful friend in Andalusian poetry

Marwa Shehata Mahmoud Elshoukrofy
Andalusian Literature Department - Arabic Language and Literature Department - Faculty of Arts - Damanhour University – Egypt
E-mail: marwa.mahmoud@art.dmu.edu.eg

Abstract :

This research aims to study the irony of the situation in a complaint of the unfaithful friend in Andalusian poetry, with its rhetorical linguistic emotion based on the establishment of new mental relationships between words, reveals experience of social life, and a deep philosophical vision of things, and depends on recording the contradiction or disharmony between two opposite parties, to arouse the reader's astonishment, and move his mind - after the sudden reversal of the situation - between expectation and reality.

Friendship is a form of intimacy and social cohesion between people, and a lofty human relationship, based on similarity, and the poets of Andalusia often complained of the crime of a bad friend, and the harm he suffered as a result of accompanying him, and the irony emerged, which is based on offense.

The irony of the situation is an exciting style, which expresses - indirectly through semantic intensification - an aggressive attitude and a conscious cry, represents the look of the Poets of Andalusia to the treacherous friend, and shows the tone of the complaint, for the purpose of sarcasm and mockery, which hides behind shame and sorrow.

The research included a prelude to five investigations and conclusions, boot monitoring: term (irony), irony in western monetary heritage, irony in Arab monetary heritage, irony in modern Arab criticism, concept (friendship), friendship from a philosophical perspective, friendship from the perspective of psychology, interpreted theories of friendship, addressing the first research: the irony of simple incongruity, the presentation of the second topic: the irony

of events, and the monitoring of the third research : Dramatic Irony, and studied the fourth research: Irony of Self-Betrayal, and addressed the fifth research: Irony of Dilemma.

The research revealed the availability of the ironyical sense of the poets of Andalusia, and came a complaint of the unfaithful friend within the framework of social criticism, which shows sarcastic ironyes, presented by the Andalusian poet in a sarcastic way .

The irony of trouble is the most common kind of irony in the research, which reveals the poet's inattention, and reflects the corrupt moral values that have been leaked to Andalusian society.

The descriptive approach, as ironyically, has been followed by a mechanism for analysing the text, relying on the deep study of the text, as well as the technical approach, which helps to taste poetic texts.

Keywords: The irony of the situation - the unfaithful friend - the Andalusian poetry.

المُقَدِّمَة

لا يُنْكِرُ أحدٌ أهميةَ الصَّدَاقَة في حياة الفرد ، بوصفها قِيمَةً إِنْسَانِيَّة بَالِغَة الأَثَر ، وعِلاقةً اجْتماعيَّة مُتَبَادَلَة ، تقوم على المُشَارَكَةِ الوِجْدَانِيَّة وتَبَادُلِ المَنَافِع، وتُعَزِّزُهَا رَوَابِط وثيقة ، مِنْهَا : المَوَدَّة ، والصِّدْق ، والأُلْفَة ، والإِخَاء ، والوِئَام ، والثِّقَة ، والوَفَاء ، والتعاوُن ، والصُّحْبَة ، والإحسان ، والإيثار ، والمُشَابَهَة ، وتؤدي إلى ارتقاء المهارات الاجتماعيَّة ؛ حيثُ يقومُ الأصدقاءُ بِدَورٍ بَعِيد المَدَى في تكوين الاتجاهات ، والقِيَم الأخلاقيَّة ، وأنماط السُّلُوك .

وفي الواقع أراد شعراءُ الأندلس صديقًا يُوثَقُ به ، يَتَحَمَّلُ زَلَّاتهم ، ويُسَانِدُهُمْ وَقْتَ الشِّدَّةِ ، ويُخْلِصُ لهم النُّصْح ، ويُرْشِدُهُم إلى ما يَنْفَعُهُمْ في الدُّنْيَا والآخرة ؛ فوجدوا صديقًا لئيمًا إِنْ أَكْرَمَوهُ تَمَرَّد ، أو لاطَفُوهُ قَسَا ؛ فالبُعْد مِنْهُ أَولَى ؛ لأَنَّهُ مِثْلُ الزمانِ تَلَوُّنًا .

وقد شَغَلَ موضوعُ فَسَاد الصَّدِيقِ جانبًا كبيرًا من اهتمامهم ، وسَيطَرَ على تفكيرهم ، وتَجَلَّى ذلك فيما أبدعوه من شعرٍ في شَكْوَى تَجَنِّي الصَّدِيقِ ، ظهرت فيه المُفَارِقةُ بصورة سافرة ساخرة ، لا تخلو من الدُّعَابة والهجاء والعَبَث، تُبَيِّنُ القيمَ المُتَنَاقِضَةَ التي سادت بين الأصدقاء ، وتُعَبِّرُ عن صراعٍ عميق ، وحُزْنٍ مرير ، في نفس الشاعر ، الذي يجهل الحقيقة ، ويَنْخَدِعُ بِالمَظْهَر ؛ فيتأمل القارئُ مَغْزَى المُفَارقة ، وتَرْتَسِمُ ابتسامةً ساخرة على شفتيه ، سُرْعَان مَا تَتَلاشى ؛ أسفًا على الضَّحِيَّة .

وجاءت شكوى تَجَنِّي الصديق في إطار النقد الاجتماعيّ الساخر ، الذي يشكو نُضُوبَ مَعِين الوفاء ، ويُبْرِزُ صُوَر النَّقْص والتشوُّه ، التي يُظْهِرُهَا التَّضَاد بين (المظهر) و(المخبر) ، و(القول) و(الفعل) ، و(التَّظَاهُر بالبَرَاءَة) و(الغَفْلَة المُطْمَئِنَّة) ، وقد سَبَّبَت المُفَارقة شُعُورًا عَمِيقًا باليأس ، وفي بعض الحالات بالاشمئزاز ، وجعلتنا نكتشف فجأة غدر الصديق الذي نَأْلَفُهُ ، ونكتشف كذلك إِلْفَنَا لِلصَّدِيقِ الغَادِر .

لقد ارتفع صوتُ شُعَرَاءِ الأندلس بشكوى جِنَاية الصديق ، الذي يُخْفِي عَدَاوَته ، ويَدَّعِي الصداقة ، ولا يُسَاوِي فَلْسًا عند الاختبار ، ويستدعي فِعْلُهُ

القَبِيح وَجْهَهُ الخَفِيّ ؛ إنه مِثْلُ مَا قَدْ عِفْتَ مِنْ قَذَرٍ ، ضَعْفٌ في البَدْن ، وقَذًى فِي العَينِ ؛ حيثُ فَسَدَتْ طِبَاعُهُ ، وَسَاءَتْ أَخْلاقُهُ ؛ فصار لا يُؤْتَمَن ، تُخْشَى بَوَائِقُهُ ، ويَشْقَى جَلِيسُهُ ، مُتَقَلِّبٌ لا يَثْبُتُ على حال ، ولا يَشْكُرُ النِّعْمَةَ ، يُجَانِبُ الإِنْصَافَ ، ويُسِيءُ الظَّنَّ ، يَبْسُطُ شَرَّه ، ويَطْوِي خَيرَه ، ويَرْمِي بسَهْمٍ نَافِذٍ مِنَ الغَدْرِ .

ومِمَّا زَادَ تعجُّبهم أنهم وَجَدُوا الجفاء مِمَّنْ رَجَوا مِنْهُ الخير ، ونالوا الضَّرَرَ الكَثِير مِمَّن تَوَقَّعُوا منه المُشَارَكَة في النَّفْعِ ؛ فكانت المخادعةُ بديلاً من الإخلاص ، وما أَقَلَّ الإِخْوَانَ عِنْدَ نَوَائِبِ الزَّمَان ، وكم في شكوى تَجَنِّي الصديق – الذي انقلب عَدُوًّا – من المُضْحِكَات المُبْكِيَات ! ، والدهرُ فيه العجائبُ ، ويَظْهَرُ مَعْدِنُ الصديقِ عند التَّجْرِبَة ، وتَحْدُث المُفَارَقَة ؛ لانعدام المُوَافَقَة ، اللازمة لِدَوَامِ المُرَافَقَة .

وقد حَذَّرَ شعراءُ الأندلس مِنْ خَبَلِ الصَّدِيقِ ، ومَغَبَّةِ رَفِيق السُّوء ، وأكدوا أنَّ مُخَالَطَةَ الأشرارِ تُوجِبُ التَّلَفَ وَالهَلاك ، وتَجْلِبُ النَّدَم وخيبة الأمل ، وأنَّ أَصْدِقَاءَ السُّوءِ داءٌ يَضُرُّ ؛ إنهم نَوَائِب ، وعقارب ، وثعالب ، وأفاعي ، وذئَاب ، وأَرَاقِم ، مَنْ يَصْحَبَهُمْ أبدًا في عَنَاء ؛ فَإِنَّ المَاءَ والنَّارَ لا يَجْتَمِعَانِ !

وكثيرٌ من الأصدقاء يُظْهِرُونَ الحُبَّ بِلِسَانِهِمْ ، ويُضْمِرُونَ فِي قلوبهم البغضاء ، إنهم صديقٌ مُسَاعِدٌ في الظاهر ، يَتَزَيَّن بِزُخْرُفِ المَوَدَّة ، وعَدُوٌّ مُبِين في البَاطِنِ ، يَتَمَنَّى المَوتَ المُعَجَّل لصاحبه ؛ حَتَّى صَارَ الحُرُّ الكريمُ لا يَجِدُ صاحبًا بعدما بَاتَ الناسُ ذئابًا عادية ؛ لذا لا بُدَّ مِنْ أَنْ يَتَخَيَّرَ الإنسانُ صديقَهُ .

وقد اتَّضَحَ أنَّ الصديقَ المُخْلِصَ مِمَّا يُسْمَعُ به ولا يُرَى ؛ فالأَرْيُ فِي فَمِ صِلٍّ غَيرُ مُلْتَمَسٍ كما يقول ابن حَمْدِيس ، ومِنْ أين لِلمَرْءِ بالذَّهَبِ الإبريز الخَالِص ؟

وبعد فسادِ الحياة الاجتماعيَّة ، كان لا بُدَّ للعاقلِ مِنَ الانفراد ؛ فقد فَتَحَ تَجَنِّي الصَّدِيق بَابًا لِلعُزْلَة ؛ فبعدما يُكْشَفُ الغِطَاءُ ، ويَسْقُطُ القِنَاعُ ، يزول

الائتلافُ ، ويحدث الافتراقُ لا محالة ؛ بحثًا عن شِفَاءِ النفس ، والسلامةِ من الأذى ، والنجاةِ مِنَّ الشَّرِّ والخِزْي .

وقد انصرف شعراءُ الأَنْدَلُسِ – في نهاية الأمر – عن مُصَادَقَةِ الإنسانِ، وعَلِمُوا أَنَّهُ لا سبيلَ إلى الفوزِ بالصديق الوفيّ ؛ لأَنَّهُ لَيسَ لَهُ وُجُود ، وأقربُ ما يكونُ إلى السَّرَاب ، وجعلوا صديقهم الأثير : الوَحْدة ، والكِتَاب ، والسيف ، والدينار ، والحيوان .

يسعى هذا البحث لرصد (مُفَارَقة الموقف في شَكْوَى تَجَنِّي الصَّدِيقِ فِي الشعر الأندلسي) ، من خلال التكثيف الدلاليّ ، الذي يقوم على المُفَارَقَة الساخرة ، التي تُظْهِرُ نَظْرَةَ شُعَرَاءِ الأندلس إلى الصديق الغادر .

وقد اتَّخَذَتْ شكوى تجنِّي الصديق في الشعر الأندلسيّ مفارقة الموقف وسيطًا بين الشاعر والقارئ ، وكَشَفَتِ النُّصُوصُ الشعريَّةُ عن الصراع الذي يعيشه الشاعر الأندلسيّ ، وأظهرت معاناته من أجل خلق نوع من التوازن النفسيّ والاجتماعيّ ، وتَجَلَّى ذلك في مفارقاتٍ ساخرة ، نتجت من إدراك التعارُض الواضح بين أمرٍ مألوف مُتَوَقَّع وحقيقة صادمة غير متوقعة ، قَدَّمَهَا الشاعرُ فِي حُلَّةٍ هَازِئَة ؛ لِتَصِيرَ المُفَارَقَةُ خِطَابًا بلاغيًّا ، وموقفًا فلسفيًّا ، ورؤيةً للعالَم في آنٍ واحد .

تَضَمَّنَ البحثُ تمهيدًا وخمسة مباحث وخاتمة ، ورَصَدَ التمهيد : مُصْطَلَح (المُفَارَقَة) ، والمُفَارَقَة في التراث النقديّ الغربيّ ، والمُفَارَقَة في التراث النقديّ العربيّ ، والمُفَارَقَة في النقد العربيّ الحديث ، ومفهوم (الصَّدَاقَة) ، والصداقة من منظور فَلْسَفِيّ ، والصداقة من منظور عِلْمِ النَّفْس ، والنظريات المُفَسِّرة للصداقة ، وتناول المَبْحَثُ الأَوَّلُ : مُفَارَقَة التنافُر البسيط ، وعَرَضَ المَبْحَثُ الثَّانِي : مُفَارَقة الأَحْدَاث ، ورَصَدَ المَبْحَثُ الثَّالِثُ : المُفَارَقَة الدِّرَاميَّة ، ودَرَسَ المَبْحَثُ الرَّابِع : مُفَارَقَة خِدَاع النَّفْس ، وعَالَجَ المَبْحَثُ الخَامِسُ : مُفَارَقَة الوَرْطَة .

واتَّبَعْتُ – في هذا البحث – المنهجَ الوصفيّ ، بوصف المُفَارَقَة آلية من آليات تحليل النص ؛ إذ تعتمد على الدراسة العميقة للنص ، إلى جانب المنهج الفنيّ ، الذي يساعد على تَذَوُّق النصوص الشعريَّة .

التَّمْهِيدُ :

أولاً : مُصْطَلَح (المُفَارَقَة) [١] **:**

المُفَارَقَةُ مصطلح غربيّ ، لم تَعْرِفْهُ العربية إلا عبر الترجمة ، ويُعَدُّ هذا المصطلحُ ترجمةً لمصطلحينِ اثنينِ : الأول : (Paradox) ، والآخر : (Irony) [٢] ، وقد وردت كلمة (Irony) أول مَرَّة في كتاب (الجُمْهُورِيَّة) لأَفْلاطُون (Platon) (ت٣٤٧ ق . م) ؛ إذ أطلق سُقْرَاط (Socrates) (ت٣٩٩ ق . م) كلمة (آيرونيئيا) (Eironiea) على أحد ضحاياه [٣] .

ويبدو أنَّ المفارقةَ نشأت في ظِلِّ الفلسفيةِ اليونانيَّة ، وذلك ما يؤكده اللفظ اليونانيّ (Paradoxa) ، الذي يتألف من مقطعينِ : البادئة (Para) ،

---

(١) اتفق كُلٌّ مِنْ : سعيد شوقي في كتابه (بناء المفارقة في المسرحية الشعرية) ، وسيزا قاسم في دراستها (المُفَارَقَة في القص العربي المعاصر) ، وخالد سليمان في دراسته (نظرية المفارقة) على ترجمة المفارقة بـ (Irony) . واختار محمد العمري في دراسته (بلاغة السخرية الأدبية) لفظ (السخرية) مقابلاً لـ (Irony) .

انظر : سعيد شوقي : بناء المفارقة في المسرحية الشعرية ، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠١م ، سيزا قاسم : المُفَارَقَة في القص العربي المعاصر ، مجلة فصول ؛ مجلة النقد الأدبي ، عدد خاص عن (الرواية وفن القص) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، المجلد الثاني ، العدد الثاني ، يناير – فبراير – مارس ١٩٨٢م ، خالد سليمان : نظرية المفارقة ، سلسلة الآداب واللغويات ، مجلة أبحاث اليرموك ، جامعة اليرموك ، المجلد التاسع ، العدد الثاني ، ١٩٩١م . محمد العمري : بلاغة السخرية الأدبية ، مجلة علامات في النقد ، النادي الثقافي ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، مج (٥) ، ج (٢٠) ، صفر ١٤١٧ هـ – يونيو ١٩٩٦م .

(٢) انظر : أحمد محمد ويس : الانزياح وتعدد المصطلح ، مجلة عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، المجلد الخامس والعشرون ، العدد الثالث ، يناير – مارس ١٩٩٧م ، ص ٧١ .

(٣) انظر : ميويك : المُفَارقَة ، موسوعة المصطلح النقدي ، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م ، ٤/ ٢٦ .

وتعني المُخَالِف أو الضِّدّ ، والجِذْر (Doxa) ، ويعني الرأي ؛ فيكون معنى الكلمة : ما يُخَالِفُ الرأي الشائع [١] .

ويَتَّسِم مصطلح (المُفَارَقة) بالغُمُوض ، إنه من المصطلحات التي تتردَّد بكثرة في الحُقُول المعرفيَّة المختلفة ، كالفلسفة والنقد والبلاغة وعلم اللغة والأسلوبيَّة وعلم النفس وفن الكاريكاتير وفن الجروتيسك ، وأهمية المُفَارَقَة في الأدب أمْرٌ لا يحتمل الجَدَل [٢] .

وتظهرُ المُفَارَقَة في مظاهر شَتَّى تتصل بالفرد والمجتمع ، وترتبط بحياة الناس ، وقد عَمَدَ ميويك (D.C.Muecke) إلى تقصِّي أبرز خصائص المُفَارقَة ، وأَقَرَّ أَنَّهُ مِنَ العَسِيرِ أَنْ يَجِدَ تعريفًا يَشْمَلُ كُلَّ أَنْوَاعِ المُفَارقَة ، ويستبعدُ ما يَقَعُ خَارِجَ نِطَاقِهَا ؛ لأَنَّ التَّمْيِيزَ بينها من زاويةٍ مُعَيَّنة قد لا يكون كذلك من زاوية أخرى ؛ ولكثافة الدلالات التي تعطيها المُفَارَقَة ؛ اكتسبت معاني جديدة ؛ حَتَّى غَدَا مِنَ المُمْكِن النظر إلى العالَم بما يَمُوجُ فيه من تناقُض على أنَّه مَسْرَحٌ ذو مفارقاتٍ شَتَّى [٣] .

ولا تعني كلمة (مُفَارَقَة) اليومَ ما كانت تعنيه في عصورٍ سالفة ، ويَخْتَلِفُ مَفْهُومُهَا من باحثٍ إلى آخر ، ورُبَّمَا تعني في قُطْرٍ ما غير ما تعنيه في قُطْرٍ آخر [٤] .

ويُقَاس نجاح المُفَارَقَة بقدرتها على إحداث الدهشة ، عن طريق مُغَايَرَة التَّوَقُّع الذي يَنْتَظِرُهُ القارئُ ؛ حَتَّى يَشْعُرَ بالصَّدْمَةِ الإدراكيَّة [٥] ، ولا بُدَّ في المُفَارَقَة من ضَحِيَّة (Victim) ، قد تكون أنا المُبْدِع ، أو المُرَاقِب

(١) انظر : مراد وهبه : المعجم الفلسفي ، دار قباء الحديثة ، القاهرة ، ٢٠٠٧م ، ص ٦١١ – ٦١٢ .
(٢) انظر : ميويك : المُفَارقة ، ٣٤/٤ .
(٣) انظر : ميويك : المُفَارقَة ، المفارقة وصفاتها ، ٩/٤ – ٢٦١ .
(٤) انظر : ميويك : المُفَارقَة وصفاتها ، ٤/ ١٢٩ .
(5)Mohammad ,H : Time in The Wilderness, trans Andintro by M. Enani, General Egyptian Book Organization, Cairo, 2000, p. 8.

الخارجيّ[١] ، وكُلَّمَا ازدادت غفلة الضَّحِيَّة وجهلها بالأمور ازداد تأثير المفارقة وعُمْقَها [٢]، وغَيرُ خَافٍ أَنَّ فَكَّ شَفْرَة (Code) المُفَارَقَة يَسْتَوجِبُ « مهارةً خاصَّة لِفَهْم العلامة (Marker) ، وهي مهارة ثقافيَّة وإيديولوجيَّة » [٣] .

وتَصْدُرُ المُفَارَقَةُ عن طبيعة الرُّؤْيَة الحدسيَّة للإنسان ، بوصفها وسيلةً تَخْتَرِقُ الحُجُب الفاصلة بين الأنا والعالَم الخارجيّ من جانب ، وتُقَدِّم جدليَّة التضاد في الوجود من جانبٍ آخر [٤] ، وتتضمن قدرًا مِنَ « المُرَاوَغَة بحسب الحالات التي تَتَقَلَّبُ فيها الفِطْرَة الإِنْسَانِيَّة بين المُوَارَبَة والمُنَاورة ، أو الاستعلاء والتجاهل ، أو إثارة التعاطف » [٥] ، وتَتَّسِمُ المفارقةُ بسماتِ كُتَّابِهَا أَكْثر مِمَّا تَتَّسِم بانضوائها تحت أنماطٍ ثابتة [٦] ، وغاية المفارقة : رصد الخروج عن المعتاد وإظهاره ؛ بُغْيَةَ التَّعَجُّب والتهكُّم ، وإزعاج القارئ ، وإثارة التأمُّل وإعمال الذهن في مسائل فكريَّة ، ولا تخلو المفارقة من قُوَّة مُلاحظة وحُسْنِ تعليل .

وتزدهر المُفَارَقَةُ في عُصُور القَلَق ؛ حيثُ تَتَصَارع قيم أخلاقيَّة في المجتمع ، أهمها : (الخير) و(الشر) ، (الصدق) و(الكذب) ، (الوفاء) و(الجَفَاء) ، (المودَّة) و(الكُرْه) ، (حِفْظ العهد) و(الغدر بالمواثيق) ، (الجُود) و(البُخْل) ، (الوَصْل) و(القَطْع) ، (القُرْب) و(البُعْد) ، (الأثرة) و(الأنانية) ، (الإحسان) و(الإساءة) ، (الفضيلة) و(الرذيلة) .

---

(١) انظر : نبيلة إبراهيم : المفارقة ، مجلة فصول ؛ مجلة النقد الأدبي ، عدد خاص عن (قضايا المصطلح الأدبي) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، المجلد السابع ، العددان الثالث والرابع ، إبريل – سبتمبر ١٩٨٧م ، ص ١٣٣ .

(٢) انظر : ناصر شبانة : المفارقة في الشعر العربي الحديث (أمل دنقل – سعدي يوسف – محمود درويش) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م ، ص ٨٣.

(٣) سيزا قاسم : المُفَارقَة في القص العربي المعاصر ، ص ١٤٤ .

(٤) حسين خمري : فضاء المتخيل ؛ مقاربات في الرواية ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط١ ، ٢٠٠٢م ، ص ١٥٦ .

(٥) فاروق شوشة ، محمود علي مكي : معجم مصطلحات الأدب ، التحرير والمراجعة اللغوية سميرة صادق شعلان ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م ، ص ١٥٣.

(6) Muecke ,D, C. : The compass of Irony, Methuen , London & New York , ed ,1980,P. 4 .

أ) المُفَارَقَةُ فِي التُّرَاثِ النَّقْدِيِّ الغَرْبِيِّ :

١ – عِنْدَ اليُونَان :

استخدم **سُقْرَاط** المُفَارقَة من أجل المُرَاوَغَة ، وكان يسألُ خُصُومَهُ أسئلةً مُدَّعِيًا الغَفْلَة ، مُتَظَاهِرًا بالغَبَاء ؛ لِيَفْضَحَ جَهْلَ مُدَّعِي الذكاء ؛ ويُوقِعُهُ في الخطأ ، ثُمَّ يُدَلِّلُ على خَطَأِ رَأْيِهِ ؛ فيَجُرُّهُ بذلك إلى الاعترافِ بِعَكْسِ مَا يَزْعُمُ ، وتلك هي المُفَارَقَة السُّقْرَاطِيَّة (Socratic Irony) [١] ، وتُشْبِه (تَجَاهُل العَارِف) .

والمُفَارَقَة عِنْدَ **أَفْلاطُون** في جمهوريته تعني « الأسلوب الناعم الهادئ الذي يستخفّ بالناس » [٢] ؛ بُغْيَةَ خِدَاعِهِمْ .

أما المفارقة عِنْدَ **أَرِسْطُو** (Aristoteles) (ت٣٢٢ ق . م) فَيُقْصَدُ بِهَا الاستخدام المُرَاوِغ لِلغُة ، بوصفها صُورَةً من صُوَر البلاغة ، يَنْدَرِجُ تحتها المدح في صيغة الذم ، والذم في صيغة المدح [٣] .

٢ – عِنْدَ الإِنْجِلِيز :

تجدرُ الإشارة إلى أنَّ كلمة (Irony) الإنجليزيَّة لم تظهر إلا بعد عام ١٥٠٢م ، ولم تُسْتَخْدَمْ في الأدب حَتَّى مطلع القرن الثامن عَشَر ؛ فقد كانت حِكْرًا على الحقل الفلسفيّ ، وقد تَطَوَّر مُصْطَلَح (المُفَارَقَة) بعد ذلك بِبُطْء ، إلى أنَّ أصبح يُنْظَرُ إليه على أنه صيغة بلاغيَّة ، وصار تعريف الكلمة يشير إلى قولِ المَرْءِ نقيض ما يعنيه ، أو أن نقول شيئًا (ظاهره المدح) ، ونقصد شيئًا آخر (باطنه الهجاء) ، ثُمَّ صارت تُسْتَخْدَم لِتُفِيدَ الرِّيَاء [٤] .

(١) انظر : ميويك : المُفَارقَة ، ٤/ ٢٦ .
(٢) انظر : ميويك : المُفَارقَة وصفاتها ، ٤/١٤٠ .
(٣) انظر : ميويك : المُفَارقَة ، ٤/ ٢٦ .
(٤) انظر : ميويك : المُفَارقَة وصفاتها ، ٤/ ٢٧ – ٢٨ .

٣ – عِنْدَ الأَلْمَان :

مع بداية القرن التاسع عَشَر في ألمانيا ، اكتسبت كلمة (المُفَارَقَة) عددًا من المعاني الجديدة ، دون أنْ تُهْمِلَ المعاني القديمة ، ونسب ميويك هذه المعاني الجديدة ، التي كَوَّنَتْ تَحَوُّلاً جِذْرِيًّا في تَطَوُّر دلالة المصطلح ، إلى تفاعُل التأملات الفلسفيَّة والجماليَّة التي أَثْرَت هذه الحِقْبَة الزَّمَنِيَّة (١) .

وكانت المرحلة الأولى في هذا التطوُّر الجديد : النظر إلى المُفَارَقَة مِنْ زَاوِية ضَحِيَّتها ، وترتبط شخصيَّة ضحيَّة المُفَارَقة – كلّ الارتباط – بالمفارقة الرومانسيَّة ، التي تبنَّت النظر إلى المفارقات الكونيَّة (٢) ، وأوَّل مَنْ أدخل مصطلح المُفَارَقَة فِي مَجَال الأدب **فردريش شليجل** (Schlegel) (ت١٨٢٩م)، وأقرَّ أنَّ المفارقة مُحَاكَاة ساخرة ، ترتبط بالشعر الغامض ، وهي صُورة مِنْ صُوَر التناقُض الظاهريّ ، والصراع بين المطلق والنسبيّ ، والوعي المُصَاحِب للاستحالة ، وأكد أننا لن نصل إلى المُفَارَقَة إلا بعد أن تكون الأحداث والناس ، بل الحياة بِأَسْرِهَا قابلة للتمثُّل بوصفها لُعْبَة ؛ فالحياة سلسلة من المُتَنَاقِضَات التي يُمْكِنُ الإمساكُ بها (٣) .

والمُفَارَقَة عند **زولجر** (Solger) (ت١٨١٩م) تُمَثِّلُ الجُرْثُومَة القُصْوَى للفن ، وتَعْنِي الاستبصار بعبث الأمور الإنسانيَّة ، إِنَّهَا تَصَالُح الأضداد : (الشعور) و(اللاشعور) ، و(الفطنة) و(التأمُّل) (٤) .

---

(١) انظر : ميويك : المُفَارقَة ، ٣٠/٤ .

(٢) انظر : حسن حماد : المفارقة في النص الروائي ؛ نجيب محفوظ نموذجًا ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٥م ، ص ١٦٣ .

(٣) انظر : رينيه ويليك : تاريخ النقد الأدبي الحديث (١٧٥٠– ١٩٥٠) ، العصر الرومانسيّ ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، المشروع القومي للترجمة (٦٣) ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٩م ، ص ٣٢ – ٣٤ .

(٤) انظر : المرجع السابق ، ص ٥٨٦ – ٥٨٧ .

أما الفيلسوف الألمانيّ **كيركيجارد** (Kierkegaard) (ت١٨٥٥م) ؛ فقد اهتم « بإبراز العلاقة بين صانع المفارقة ولُغَته ، وكثيرًا ما عَبَّر عن انبهاره بالمُفَارَقَة بوصفها تخطيطًا دقيقًا لإستراتيجيَّة الوعي » (١) .

وتجدر الإشارة إلى أنه كان للرومانسيينَ الأوائل في ألمانيا ، والفلاسفة الألمان الفضل في تفسير علاقة المُفَارَقَة بالفلسفة .

ب) المُفَارَقَةُ فِي التُّرَاثِ النَّقْدِيِّ العَرَبِيِّ :

لم يرد استخدام المفارقة بوصفها مصطلحًا بلاغيًّا أو نقديًّا في التراث العربيّ ، ولكن البلاغيينَ العَرَب فَطِنُوا إلى أهمية الكلام المُرَاوِغ ، الذي يقول شيئًا ، ويعني شيئًا آخر يُنَاقِضُ المعنى الظاهر (٢) ، وظَهَرَ ذلك في أثناء حديثهم عن علم البديع ؛ فقد وجدوا قواسم مشتركة تجمع بين المفارقة ، والتوريَّة ، والتعريض ، وتَجَاهُل العارف ، والذم في معرض المدح ، والمدح في معرض الذم ، والهَزْل الذي يُرَادُ به الجِدّ ، والتهكُّم ، والسُّخرية ، والطباق ، والمقابلة .

وتختلف المفارقة عن الأبنية اللغويَّة التي تقوم على المجاز ، على الرغم من التَّشَابُه في البنية ذات الدلالة الثنائيَّة ؛ فالمجاز يختزل الفكرة ، ويساعد على إغلاق المعني (٣) ، والاستعارة على الرغم من طبيعتها المُرَاوِغَة ، تشير إلى دلالة واحدة ، ولا تقبل تعدُّد الاحتمالات (٤) ، والكناية تتفق مع المفارقة في كونها تحمل دلالة الإخفاء .

ولقد التفت النقد العربيّ إلى بعض جوانب المفارقة ، ولم يُطْلِق عليها هذا الاسم ؛ فقد تَحَدَّثَ أبو هلال العَسْكَرِيّ (ت٣٩٥هـ) عن مُحَسِّن بَدِيعيّ أطلق عليه (التَّلَطُّف) ، وهو « أن تتلطف للمعنى الحسنِ حتى تُهَجِّنَهُ ،

(١) ناصر شبانة : المفارقة في الشعر العربي الحديث ، ص ٢٧ .

(٢) انظر : محمد العبد : المفارقة القرآنية ؛ دراسة في بنية الدلالة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م ، ص ٢٠ .

(٣) سيزا قاسم : المُفَارقَة في القص العربي المعاصر ، ص ١٤٥ .

(٤) ناصر شبانة : المفارقة في الشعر العربي الحديث ، ص ٥٧ .

وللمعنى الهجين حَتَّى تُحَسِّنَهُ » [١] ، واستحسن عبد القاهر الجُرْجَانِيَّ (ت٤٧١هـ) كون الشيء من الأفعال سببًا لِضِدِّه ، وجَعَلَهُ دليلاً على حِذْق الشاعر، وجودة طبعه ، وحِدَّة خَاطِرِه [٢] .

إنَّ مَا يُخَالِفُ المَعْهُود المألوف ، ويحمل معنى مناقضًا ، يُثير الذهن ، ويجذب الانتباه ، ويُزْعِجُ القارئ ، أقرب ما يكون إلى مفهوم المفارقة .

ج) المُفَارَقَةُ فِي النَّقْدِ العَرَبِيّ الحَدِيثِ :

اهتم النقد العربيّ الحديث بالمُفَارَقَة اهتمامًا كبيرًا ؛ بوصفها تُمَثِّلُ جُزْءًا بارزًا في بناء النص ؛ فالمفارقة عند **سيزا قاسم** « إستراتيجية قول نقديّ ساخر ... إنها طريقة لخداع الرّقَابَة ... وقد نَنْظُرُ إليها على أنها سلاح هجوميّ فَعَّال ، وهذا السلاح هو الضحك ... ولا تتميز المفارقة بالغُمُوض فحسب ... بل بالإحساس الغريب كذلك ، الذي يُوَلِّدُهُ اشتمالها على عناصر مُتَعَارِضة » [٣] .

وقد أشارت **نبيلة إبراهيم** إلى أنَّ المُفَارَقَة : « تعبير لغويّ بلاغيّ يرتكز – أساسًا – على تحقيق العلاقة الذهنيَّة بين الألفاظ ... إنها رفض المعني الحرفيّ للكلام لصالح المعني الخفيّ ، الذي غالبًا ما يكون المعنى الضِّدّ » [٤]، وهي تتضمن « المُضْحِك والمبكي في آنٍ واحد ؛ ولهذا فهي تَدْفَعُ القارئَ إلى البسمة التي تختفي بمجرد أن ترتسم على الشفاه » [٥] ؛ لوجود « موضوع يحتاج إلى التأمُّل ، وإلى الرثاء المُمْتَزِج بالضحك » [٦] .

---

(١) العسكريّ : كتاب الصناعتين ؛ الكتابة والشعر، تحقيق على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧١م ، ص ٤٤٥ .

(٢) انظر : عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدنى ، القاهرة ، دار المدني ، جدة ، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م ، ص ١٥٥ .

(٣) سيزا قاسم : المُفَارقَة في القص العربي المعاصر ، ص ١٤٣ – ١٤٤ .

(٤) نبيلة إبراهيم : المفارقة ، ص ١٣٢ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

(٦) المرجع نفسه ، ص ١٣٩ .

والمفارقة عند **أمينة رشيد** : « نظرة إلى العالَم ، وموقف من حقيقة الأشياء » (١) ، والمفارقة عند **محمد العبد** أداة أسلوبيَّة فَعَّالَة لِلتَّهَكُّم والاستهزاء (٢) ، والمفارقة عند **ناصر شبانة** « منهج معرفيّ بلاغيّ فلسفيّ ؛ لاشتراك القارئ في مُتْعَة الملاحظة ، واختراق العوالم المُتَحَدَّث عنها » (٣) ، و« لا بُدَّ من إعادة إنتاج الدلالة للوصول إلى المعنى الحقيقيّ » (٤) .

وتعتمد المُفَارَقَة على « قُوَّة التوتُّر (Tension) بين المعنى السطحيّ والمعنى المُضَاد له » (٥) ، وعلى ذلك فهي فليست مُحَسِّنًا بديعيًّا – لفظيًّا ، أو معنويًّا – ولا صورة بيانيَّة ؛ لأنها تُمَثِّلُ خِطَابًا بلاغيًّا ، وموقفًا فلسفيًّا ، ورؤية للعالَم في آنٍ واحد .

ثَانِيًا : مَفْهُومُ الصَّدَاقَةِ (Friendship) :

لَقِيَتْ الصداقة اهتمامًا كبيرًا في مجالات كثيرة ، منها : علم النفس ، وعلم الاجتماع ، والفلسفة ، والآداب ، والأخلاق ، وغيرها من مجالات الحياة الإنسانيَّة .

وتَحْدُثُ الصداقةُ نتيجة تَوَافُق الاتجاهات بين الأفراد ، وهي علاقة إنسانيَّة ، وقِيمَة أخلاقيَّة ، تُمَثِّل أرقى أنماط الحياة الاجتماعيَّة ؛ لأنها تُؤَدِّي دورًا مُؤَثِّرًا في طريقة تفكير الصديق ، بوصفها مصدرًا مُهِمًّا للتطوُّر الأخلاقيّ وتنمية القِيَم ، وبإمكان الصداقة أن تكون باعثًا على اللذَّة ، وسبيلاً إلى جودة الحياة (٦) ؛ فمِثْلِ هؤلاء الأصدقاء زينة الأرض ؛ فإنَّ ما يَصْدُرُ عن الصديق ،

(١) أمينة رشيد : المفارقة الروائية والزمن التاريخي ، مجلة فصول ؛ مجلة النقد الأدبي ، عدد خاص عن (زمن الرواية – الجزء الأول) ، المجلد الحادي عشر ، العدد الرابع ، شتاء ١٩٩٣م ، ص ١٥٧ .

(٢) انظر : محمد العبد : المفارقة ، ص ١٨ .

(٣) ناصر شبانة : المفارقة في الشعر العربي الحديث ، ص ٧٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٥ .

(٥) انظر : محمد العبد : المفارقة القرآنية ، ص ٢٩ .

(٦) انظر : ميشيل حنا متياس : الصداقة قيمة أخلاقية مركزية ، ترجمة ميشيل حنا متياس ، سلسلة عالم المعرفة (٤٤٤) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، يناير ٢٠١٧م ، ص ١٠ .

يكون مصدرًا للبهجة ؛ لأنَّهُ يَنْبَثِقُ مِنْ مَحَبَّةٍ عَمِيقَة ، تُعَزِّزُ النُّمُو الإنسانيّ[١] ؛ فإن « الإنجازات الإنسانيَّة تكون عقيمة خارج نطاق الإطار الاجتماعيّ ، إذا لم يُدْرِكْها ويُقَدِّرها ويُقَيِّمها ويَتَشَارَك فيها الآخرون » [٢] .

وفي المعنى اللُّغَوِيّ للصداقة يقول ابن فَارِس (ت٣٩٥هـ) : « الصاد والدال والقاف أصلٌ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ فِي الشَّيء ... والصَّدَاقة مُشْتَقَّة مِنَ الصِّدْقِ فِي المَوَدَّةِ » [٣] ، ويقول أبو هلال العَسْكَرِيّ : « الصَّدَاقة اتِّفَاق الضمائر على المَوَدَّة ؛ فَإِذا أضمر كُلُّ وَاحِدٍ من الرَّجُلَينِ مَوَدَّةَ صَاحِبَهُ ؛ فَصَارَ باطنه فِيهَا كظاهره ، سُمِّيَا صَدِيقَينِ » [٤] .

إنَّ الصداقَةَ علاقة مُتَبَادَلة بين شخصينِ ، تقوم على تماثُل الاتجاهات، وتحمل دلالات بالغة الأهمية ، تَمُسُّ توافق الفرد ، واستقرار الجماعة [٥] ، وتَسُودها قِيمَ راقية ، كالثِّقَة ، والحُبّ ، والتعاون ، والوئام ، والقَبُول ، والمساندة [٦] ، وتفرضها الحياة الاجتماعيَّة ، وتُقَوِّيها العادات المشتركة .

وليست الصداقة باللسان والأقوال ، ولكنها بالمواقف والأفعال ، ولا تظهر حقيقة الصديق إلا وقت الشدة ؛ لأنَّ الكلامَ لا يُبْدِي مَعْدِن الإنسان .

ولا بُدَّ مِنْ أَنْ يَتَخَيَّرَ المرءُ صَاحِبَهُ ؛ فيكون من أصحاب الأخلاق الرفيعة ، والهِمَّة العالية ، ويقود إلى الخيرات ، وبذا يرتقي المرءُ ، أمَّا مَنْ

(١) انظر : المرجع السابق ، ص ١٠٩ ، ٢٦٥ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ، ص ١١٧ .

(٣) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، القاهرة ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، ٣/٣٣٩ – ٣٤٠ .

(٤) أبو هلال العسكري : الفُرُوقُ اللُّغَوِيَّة ، تحقيق محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٨م ، ص ٢٨٥ .

(5)Ramson, O : Friendship in Sills (ed), The International Encyclopedia of the Social Sciences , 1987 , p. 12.

(6)Maroney, Sharon : A Closer look at friendship , Western Illinois University, 2005 , p .1.

يُصَاحِبُ مَنْ دُونه خُلُقًا ودِينًا وعِلْمًا ؛ فلا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكْتَسِبَ طبعه الدنيء ، ويستفاد الذِّلَّة والصَّغَار .

أ) الصَّدَاقَةُ مِنْ مَنْظُور فَلْسَفِيّ :

١- عِنْدَ فَلاسِفَةِ اليُونَانِ :

حَظِيَت علاقة الصَّدَاقة بِمَنْزِلة رَفِيعة عند فلاسفة اليُونان ، وأفاضوا في الحديث عنها ، وقد سَخِرَ **سُقْرَاط** من نظرية الصداقة القائمة على التشابُه ، وأكد أنَّ الصداقةَ الحقيقيةَ أكثر أهمية من السُّلْطَة والثروة ، وطُوبَى لِمَنْ فَازَ بهذه النِّعْمَة الجَلِيلة ؛ لأنَّ الصديقَ يُحِبُّ الخيرَ لصديقه كما يُحِبُّهُ لنفسه ، ولكن يَصْعُب وُجُود صَدَاقة يُوثَقُ بِهَا عِنْدَ البَلْوَى [١] .

ورأى **أَفْلاطُون** أَنَّ الصداقة تقوم على الخير ، إنها رابطة خُلُقِيَّة ، أو علاقة رُوحِيَّة نبيلة ، تجمع بين المواطنينَ الأخيار ؛ فتُؤَلِّف بين قلوبهم ، وتُكَوِّن منهم مجتمعًا متماسكًا [٢] ، والصديقُ هو مَنْ يبدو خَيِّرًا عاقلاً ، ويكون بالفعل كذلك ، ومِنَ العَدْلِ إسداء النفع للصديق [٣] ، إنَّ الصداقةَ علاقة مَحَبَّة بين شخصينِ مختلفينِ ، لكنهما ليسا متناقضينِ .

والصديق عند **أَرِسْطُو** هو الشخص الذي يعرف كيف يكون مقبولاً من الآخرين كما ينبغي ، والصداقة عَطْف مُتَبَادَل بين اثْنَينِ مُتَمَاثِلَينِ في المقام الاجتماعيّ والمَلَكَة العقليَّة ؛ حيثُ يُرِيدُ كُلٌّ مِنْهُمَا الخير للآخر ، ولا أحد يختار العيش من دون أصدقاء ؛ حَتَّى إِنْ مَلَكَ كُلَّ الخيرات الأُخَر ؛ لأنَّ الصداقة من أهم الفضائل التي تُسْهِمُ في تحقيق السعادة ، وأرقى أنواع الصداقة هي المبنية على الفضيلة ، دون النظر إلى المنفعة أو المُتْعَة ، وهذا النوع من

---

(١) انظر : مِسْكَوَيه : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، حققه وشرح غريبه ابن الخطيب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(٢) انظر : زكريا إبراهيم : مشكلة الحياة ، مجموعة مشكلات فلسفية (٧) ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٧١م ، ص ٢٠٣ .

(٣) انظر : أفلاطون : جمهورية أفلاطون ، دراسة وترجمة فؤاد زكريا ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ٢٠٠٤م ، ص ١٨٧ .

الصداقة يستمرُّ طويلاً ، ويَصْعُبُ الحصولُ عليه ، ولا يستطيعُ المرءُ أنْ يمتلكَ عددًا كبيرًا من الأصدقاء ؛ لأنه من المُتَعَذِّر أنْ يكونَ عاشقًا لكثير من الأشخاص في الوقت نفسه ؛ فالصداقة تفضيليَّة ، أي مقصورة على شخصٍ واحد ، ولو أنَّ الناسَ أقاموا علاقات صداقة بهدف الفضيلة ، لَمَا احتاجوا إلى القوانينَ والتشريعات ؛ لذا فإنَّ أصعب ما في حياة الطاغية ، هو أنه لا يستطيع أن يكون صديقًا لأحد [١] .

٢ – عِنْدَ فَلاسِفَةِ العَرَبِ :

الأصدقاء عند **الفَارَابِي** (ت٣٣٩هـ) صِنفانِ : الصِّنْف الأول : الأصفياء المُخْلِصُونَ ؛ فَيَنْبَغِي للمرء أَن يُدِيمَ مُلاطفتهم ، ويَتَعَهَّد أَحْوَالهم ، ويجتهد فِي الإكثار مِنْهُم ؛ فإنَّهم زينُ المَرْءِ ، والصِّنْف الآخر : الأصدقاء فِي الظَّاهِر ، ويَنْبَغِي للمَرْءِ أَلا يُطْلِعَهُمْ على شَيءٍ من أسراره ، وأن يجتهد فِي الصبر عليهم؛ لعلهم يصيرون فِي رُتْبَة الأصفياء لَهُ [٢] .

ويرى **أبو حَيَّان التَّوحِيدِيّ** (ت٤١٤هـ) أنَّ الصداقةَ « لفظٌ بلا معنى » [٣] ؛ فَإِنَّ « أَطْوَلَ النَّاسِ سَفَرًا ، مَنْ سَافَرَ فِي طَلَبِ صَدِيقٍ » [٤] ؛ لأنَّ الصَّدِيقَ المُخْلِصَ ليس له وجود ، بَعْد أَنْ صَارَ الغدرُ مِنْ شِيَمِ الأصدقاءِ ؛ لذا ففي البُعْد السَّلامَة ، وفي القُرْبِ النَّدَامَة ، و« يَنْبَغِي أَنْ نَثِقَ بِأَنَّهُ لا صَدِيق ، وَلا مَنْ يَتَشَبَّهُ بِالصَّدِيقِ » [٥] .

---

(١) انظر : أرسطوطاليس : علم الأخلاق إلى نيقوماخوس ، ترجمه من اليونانية إلى الفرنسية بارتلمي سانتهلير ، نقله إلى العربية أحمد لطفي السيد ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٣هـ – ١٩٢٤م ، ٢١٩/٢ – ٢٧٤ .

(٢) انظر : الفارابي : مجموع في السياسة ، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ط ١ ، د . ت ، ص ٢٠ – ٢١ .

(٣) أبو حيان التوحيدي : الصداقة والصديق ، تحقيق إبراهيم الكيلاني ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، دمشق ، سُوريَة ، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م ، ص ٥٢ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٦٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٦ .

ويرى **مِسْكَوَيْه** (ت٤٢١هـ) أنَّ الصداقةَ « نَوعٌ مِنَ المَحَبَّة إلا أنها أخصّ منها ، وهي المَوَدَّة بعينها » [١] ؛ فالسعيد مَن رُزِقَ بأَصْدِقَاء أوفياء ، وقَدَّمَ لهم الخير ؛ لِيَكْتَسِبَ بِهِمْ مَا لا يَقْدِرُ أَنْ يَكْتَسِبَهُ بمفرده ؛ فَبِهِمْ تَطِيبُ الحَيَاة [٢] .

ويُحَذِّرُ **ابن حَزْم الأندلسيّ** (ت٤٥٦هـ) مِنْ مُصَاحَبَةِ الأراذل ؛ لأنهم يَغْدِرُونَ بالعُهُود ، ويَعُدُّ المُصِيبَةَ فِي الصَّدِيقِ الناكث ، أعظم مِنَ المُصِيبَةِ بِهِ، وأسمى صُوَر الصداقة – عنده – أن يُشَارِكَ الصديقُ صَدِيقَهُ فِي مَالِهِ لغير عِلَّة ، ومِنَ المُرُوءَةِ أَنْ يُؤْثِرَ المَرْءُ صَدِيقَهُ على نَفْسِهِ ، ويُحْزِنُهُ ما يَسُوءُ صَدِيقَهُ ، ويَسُرُّه ما يَسُرُّه ، وما سَفُلَ عن ذلك فليس صديقًا [٣] .

ب) الصَّدَاقَةُ مِنْ مَنْظُورِ عِلْمِ النَّفْسِ :

استأثر موضوع الصداقة باهتمام علماء النفس ، ورأوا أنها « تنطلق من الدافعيَّة واللادافعيَّة ، والإدراك ، والمكونات الوجدانيَّة والذهنيَّة ، وضرورتها وحاجتها النفسيَّة » [٤] ، ويُسْهِمُ الأصدقاء في تقوية مشاعر الانتماء والثِّقَة بالنفس ، وخفض مشاعر الوَحْدَة النفسيَّة ، وتعزيز الشعور بالسعادة وتقدير الذات ، مِنْ جَرَّاء المُشَارَكَة في السَّرَّاء والضَّرَّاء ، وما يَتْبَعُهَا مِنَ المُؤَانَسَة .

والصداقة « حصيلة تَفَاعُل بين الفرد والمجتمع (البناء الاجتماعيّ ، والثقافة الاجتماعيَّة) ، والحاضنة الطبيعيَّة (البيئة ، والسكن ، والعمل) ،

(١) مِسْكَوَيه : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، ص ١٥١ .

(٢) انظر : المصدر السابق ، ص ١٦٦ .

(٣) انظر : ابن حزم : الأخلاق والسِّيَر فِي مُدَاوَاةِ النُّفُوسِ ، قرأه وضبط نصه وخرج أحاديثه طارق بن عبد الواحد بن علي ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، ط ٢ ، ١٤٣٨هـ – ٢٠١٧م ، ص ٥٥ ، ١٠٤ .

(٤) صفوان سلمان قسام : ارتياد الطلبة لمواقع الإنترنت الاجتماعية ، وعلاقته باتجاههم نحو الصداقة ؛ دراسة ميدانية لطلبة جامعة دمشق ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة دمشق ، ٢٠١٣م ، ص ٩٢ .

وتنطبق عليها في هذا الإطار شُرُوط العلاقات النفس اجتماعيَّة نفسها وتطوُّرها الارتقائيّ » [١] .

إنها مصدر بارز من مصادر الدعم الاجتماعيّ ، ووسيلة لخفض السُّلُوك العُدْوَانِيّ [٢] ، وغَيرُ خَافٍ أن للعلاقات الاجتماعيَّة الناجحة (الصداقة) دورًا بارزًا في تحسين الصحة النفسيَّة والجسميَّة للأفراد .

ج) النَّظَرِيَاتُ المُفَسِّرَةُ لِلصَّدَاقَةِ :

تناول علماءُ الاجتماعِ كثيرًا من النَّظَرِيَّات المُفَسِّرَة لعِلاقة الصداقة ، منها :

نَظَرِيَّةُ التَّعْزِيزِ (Reinforcement Theory) :

ظهرت هذه النظرية في الستينيات على يد (Lot) & (Lott) ، واستكملها كلور وبيرن (Clore) & (Byrne) في السبعينيات ، وتستند هذه النظرية إلى أن الأفراد يُقِيمُونَ علاقات صداقة مع مَنْ يَسْعَدُوا في صحبتهم ، وكُلَّمَا حَضَرَ الصَّدِيقُ استدعى صديقه الخبرات السارَّة التي ارتبطت به [٣] .

وقد حاولت نظرية التعزيز أنْ تُعَزِّزَ من سُلُوكٍ مُسْتَحَب بأن تكافي عليه مكافأةً حسنة ، تجعلُ المرءَ يَتَعَلَّقُ بفعله ، ويُكَرِّرُهُ طوعًا ، وكُلَّمَا زادت المكافأة (الماديَّة أو المعنويَّة) اشتدَّتْ مَحَبَةُ المَرْءِ لهذا السُّلُوك وألحَّ عليه ، وبالقياس على الصداقة كُلَّمَا استشعر الصديقُ السعادةَ في صُحْبَةِ صديقه ، ازداد تعلُّقُهُ به ، ولازمه ؛ لأنَّ الإحسانَ يَسْتَوجِبُ الحَمْدَ والإِطْرَاء والقُرْب .

---

(١) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(2)Bakalim Orkide &Karçkay, Arzu Taşdelen ,Friendship Quality and Psychological Well Being : The Mediating Role of Perceived Social Support , International Online , Journal of Education Sciences , 2016 . 8 (4). p. 2.

(3)Fehr, Beverley: Friendship processes. Sage Publications, International educational and Professional Publisher, Thousand Oaks London New Delhi , 1996 ,p. 20.

وغيرُ خَافٍ أن للتعزيز أثرًا بارزًا في تعديل السُّلُوك ، إنه تَقْدِيم مُثير مرغوب فيه ، أو إزالة مُثِير غَير مرغوب فيه ، بعد القيام بالسُّلُوك المرغوب فيه مُبَاشَرة ؛ مِمَّا يزيد من احتمال تكرار السُّلُوك المرغوب فيه [١] .

وتشرح نظرية التعزيز كيف يَتَعَلَّمُ المرءُ السُّلُوكَ ، وتُرْجِعُ السُّلُوكَ البشريّ إلى استجابة (Response) لبعض المُحَفِّزَات ، إنها تُعَزِّز السُّلُوك المُفَضَّل المُسْتَحْسَن بإضافة مُثِيرَات مُحَفِّزَة على تكرار القيام به ، تؤدي إلى زيادة قُوَّة الاستجابة أو تدعيمها .

نَظَرِيَّةُ التَّبَادُلِ الاجْتِمَاعِيّ (Social Exchange Theory) :

ظهرت هذه النظرية على يد ثيبوت وكيلي (Thibaut) & (Kelly) ، وتستند إلى أنَّ قَبُولَ أيّ علاقة يتوقف على المنفعة التي تَعُودُ على المرءِ منها ، وكُلَّمَا كان العائدُ (Reward) أكبر ، والتكلفة (Cost) أقلّ ، حازت العلاقة على القَبُول ، وتَمَسَّكَ بها الشخصُ في إصرارٍ [٢] ، وينطبق ذلك على علاقة الصداقة ؛ فإنَّ الصَّدِيقَ يَسْأَلُ صَدِيقَهُ المُسَاعَدَة إذا تَحَصَّل منه – مِنْ قبل – على مُسَاعَدَة مُفِيدة ، وكُلَّمَا تَحَصَّلَ منه على مساعدة كَرَّرَ طلب المساعدة ، ويَسْعَدُ صَدِيقُهُ بتقديم المُسَاعَدَة له ، ويقوم الصَّدِيقُ – بِدَورِهِ – بِشُكْرِ صَدِيقِهِ واستحسان صَنِيعِهِ ؛ فقد تبادلا الأخذ (تقديم المساعدة) والعطاء (الشُّكْر) .

إنَّ نَظَرِيَّةَ التبادُل الاجتماعيّ تَعُدُّ الصديقَ عقلانيًّا ، يبحث عن الفائدة ؛ ويُقْبِلُ على العلاقات التي تُحَقِّقُ له تمام الاستمتاع ، وتُشْبِعُ حاجاته ؛ فكلما زادت المكاسب التي يتلقاها مِنْ صَدِيقِهِ دامت علاقة الصداقة .

---

(١) انظر : ناصر الدين أبو حماد : تعديل السلوك الأناني وأساليب حل المشكلات السلوكية ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ١١ ، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م ، ص ١٩٩ .

(2) Fehr,Beverley : Friendship processes ,p.24.

نَظَرِيَّةُ التَّكَافُؤ (Equity Theory) :

تؤكد نظرية التكافؤ لهوتفيلد (Hotfield) مفاهيم نظرية التبادُل الاجتماعيّ ، وهي العائد والتكلفة ، ولكنها ترى أنَّ العائدَ لا بُدَّ مِنْ أن يكون مُسَاوِيًا للتكلفة ؛ لأنه إذا كان العائدُ أكبر مِنَ التكلفة ؛ فإنَّ الفردَ يَشْعُرُ بالذَّنْب ، وكأنه ظالمٌ للشخص الآخر الذي يُصَادِقُهُ ، وإذا كانَ العائدُ أقلّ ؛ فإنَّ الفردَ يَشْعُرُ بالغضبِ ؛ لأنَّه يعتقدُ أنَّ الآخرَ يستخفُّ به ، ومِنْ ثَمَّ فإنَّ ما تستند إليه نظرية التكافُؤ هو المساواة [١] ؛ فإنْ كانَ العَطَاءُ مِنْ أَحَدِ الصديقينِ دون الآخر ، لم يجنِ صاحب العطاء إلا الخِذْلان والحسرة .

يَتَّضِحُ مِنْ عَرْضِ النَّظَرِيَّات المُفَسِّرة للصداقة أنها تختلف من حيث الأسباب المُؤَدِّية إلى استمرار الصداقة الوثيقة ؛ ففي الوقت الذي تُولِي فِيهِ نَظَرِيَّةُ التَّعْزِيزِ اهتمامًا كبيرًا بالثواب الذي يَعْقُبُ الاستجابة ، وأثره في تقوية ارتباط الصديق بصديقه ، الذي يرتبط في ذهنه بالخبرات السارَّة ، تُرْجِع نظريَّة التبادل الاجتماعيّ استمرار الصداقة إلى تحقيق منفعة أكبر مِنَ التكلفة ، وتهتم نظرية التكافؤ بالمساواة بين عائد الصداقة وتكلفتها .

أَنْمَاطُ المُفَارَقَةِ :

قَسَّمَ ميويك المُفَارَقَة إلى : **مُفَارَقَة لَفْظِيَّة** (Verbal Irony) ، وذكر منها نمطين : أطلق على الأول منهما : أسلوب الإبراز (High – Relief) ، ومَثَّلَ عليه بالمدح في صيغة الذم ، مثل عبارة التهاني التي نقولها في مدح أخرق تَسَبَّبَ فِي إيذاء غيره ، والآخر سَمَّاهُ : أسلوب النقش الغائر (Intaglio) ، وهو النيل من الذات [٢] .

(1) Ibid ,p.28.

(2)Kierkegaard, S: The Concept of Irony: with Continual Reference to Socrates, Edited and translated with introduction and Notes by Howard V. Hong and Edna H. Hong, Princeton University, Press, 1989, p. 273 .

وتميلُ المفارقةُ اللفظيَّةُ إلى أن تكون هجائيَّة [١] ، وتعتمد على معرفة مَقْصِد المتكلم ؛ حيثُ « نَنْفُذُ مِنَ الفِعْلِ اللُّغَوِيّ أو اللفظيّ إلى الفعل الإنجازيّ ، من القول إلى مقصد القائل » [٢] ، إنها – في جوهرها – « عبارة مُتَنَاقِضَة في ظاهرها ، مقبولة المعنى في حقيقتها » [٣] ، ولا بُدَّ مِنْ أن تتضمن وجود صاحب المفارقة (Ironist) أو صانعها [٤] .

وقد جعلها كلنث بروكس (Cleanth Brooks) (ت١٩٩٤م) أساس لغة الشعر ، ووسَّع معناها بحيثُ أصبحت أقوى مِنَ التناقُض الظاهري ، بوصفها تناقضًا في المشاعر يَتَجَلَّى في تناقض التعبير [٥] .

و**مُفَارَقَة مَوقِف** (Irony of Situation) ، تعتمد على الأحداث ، وتميل إلى أن تكون « ذات صفة أكثر كوميديَّة ، أو مأساويَّة ، أو فلسفيَّة » [٦] ، وتُحَدِّد علاقة الذات المُتَكَلِّمَة بالبيئة المُحِيطَة ، وهي « أشبه بِسِتَارٍ رَقِيق ، يَشِفُّ عَمَّا وَرَاءَهُ من هزيمة الإنسان » [٧] .

وترتكز مفارقة الموقف في شكوى تجني الصديق في الشعر الأندلسيّ على أن ما حَدَث على خلاف ما يُتَصَوَّر ؛ فالشاعرُ يَتَوَقَّع من صديقه المَوَدَّة ، وحفظ العهد ، والمعاملة الطَّيِّبَة ؛ فيجد البغضاءَ ، ونَقْض العَهْد ، والمعاملة السيئة ، وهذا الأمر غير محتمل الحدوث بالنسبة إليه ، وفيه كَسْر

– انظر : ميويك : المفارقة وصفاتها ، ١٩٥/٤ .

(١) انظر : ميويك : المُفَارقَة ، ٧٣/٤ .

انظر : فايز مد الله الذنيبات : المُفَارَقَة القَائِمَة عَلَى مُخَالَفَةِ العُرْفِ ؛ دراسة تحليلية لنماذج من الشعر العربي ، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة ، المجلد (١٧) ، عدد ٢ (A) ، ربيع الثاني ١٤٤٢هـ – ديسمبر ٢٠٢٠م ، ص ١٠٧ .

(٢) انظر : محمد العبد : المفارقة القرآنية ، ص ٥٥ .

(٣) فاروق شوشة ، محمود علي مكي : معجم مصطلحات الأدب ، ١٥٤/١ .

(٤) انظر : ميويك : المُفَارقَة ، ٤٣/٤ .

(٥) انظر : كلنث بروكس : لغة المفارقة ، ترجمة أبي حسين محمد بن منصور ، مجلة الدارة ، دارة الملك عبد العزيز المملكة العربية السعودية ، المجلد (١٦) ، العدد (٢) ، ١٩٩٠م ، ص ١٧٠ .

(٦) انظر : ميويك : المُفَارقَة ، ٧٣/٤ .

(٧) نبيلة إبراهيم : المفارقة ، ص ١٣٢ .

أُفُق الانتظار ، فَضْلاً عن الإدهاش ، والمُفَاجَأة ، إنَّ الاصطدامَ بين المستويين المُتَنَاقِضَينِ يُوَلِّدُ مُفَارَقَةُ الموقف .

ويمكن تقسيم مُفَارَقَة الموقف في شكوى تَجَنِّي الصديق في الشعر الأندلسيّ ، تبعًا لتقسيم ميويك ، إلى خمسة أنماط : مُفَارَقَة التنافُر البسيط ، ومُفَارَقَة الأحداث ، والمُفَارَقَة الدِّرَامِيَّة ، ومُفَارَقَة خداع النفس ، ومُفَارَقَة الورطة.

المَبْحَثُ الأَوَّلُ : مُفَارَقَةُ التَّنَافُرِ البَسِيطِ (Irony of Simple Incongruity) :

تتحقق مُفَارَقَة التنافُر البسيط حينما يكون هناك تجاوُر بين ظاهرتينِ بينهما تَنَافُرٍ شديد ، يُمْكِنُ للقارئ إدراكه بسهولة [١] ، وقد عَمَدَ الشاعرُ الأندلسيّ إلى رَصْدِ حالة الصديق الغادر ، التي تتعارض مع حالة الشاعر الوفيّ ، وتخرج عن القيم الاجتماعيَّة السائدة في المجتمع ، والقِيَم الأخلاقيَّة السامية ، وتَأَمَّلَ القَارِئُ (المُرَاقِب) المُفَارَقَة ، وقَارَنَ بينَ الحَالَتَينِ ؛ لِيَخْرُج بِنَتِيجة مُفَادَهَا : فساد الصديق ؛ فَلِسُوءِ الحَظِّ « معظم الناس لا يرون أي شيء ذا قيمة في أمور الحياة سوى ما هو مُرْبِح ... فهم يُحِبُّونَ ما يَتَوَقَّعُونَ منه أكبر قدر مُمْكِن مِنَ المنفعة ، وهُمْ على استعداد لأنْ يتظاهروا ويتملقوا ويرتدوا ثوب الصداقة من أجل المنفعة ، ولا يترددون في اللجوء إلى استغلال أي شخص والإساءة إليه والتلاعُب به ... لتحقيق غاياتهم الأنانيَّة » [٢] .

ومن أمثلة مُفَارَقَة التنافُر البسيط قول **ابن عبد ربه الأندلسيّ** (ت٣٢٨هـ) : (طويل)

عَذِيرِيَ مِنْ خَلْفٍ تَخَلَّفَ مِنْهُمُ غَبَاءٌ وَلُؤْمٌ فَاضِحٌ وَجَفَاءُ

بَقَاءُ لِئَامِ النَّاسِ مَوتٌ عَلَيهِمُ كَمَا أَنَّ مَوتَ الأَكْرَمِينَ بَقَاءُ [٣]

(١) انظر : ميويك : المُفارقَة ، ٤/ ٨٧ ، ١٣٥ .

(٢) انظر : ميشيل حنا متياس : الصداقة قيمة أخلاقية مركزية ، ص ١١١ – ١١٢ .

(٣) ابن عبد رَبّه الأندلسيّ : ديوان ابن عبد ربه ، جمعه وحققه وشرحه محمد رضوان الداية ، المكتبة الأندلسية (١٠) ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، ص ١٩ .

يقول في معنى فَسَادِ الإخوان : لقد ظهر مِنْ أصدقائه لُؤْمٌ لم يكن يتوقعه ، ومن هنا حدثت مُفَارَقَة التنافُر البسيط ؛ فهم يفرحون لموت الأكرمين ؛ ففي ذلك بقاءٌ لهم ، واتِّسَاعٌ لنفوذهم ، ويحزنون لِبَقَاءِ لِئَامِ الناس ؛ لأنهم ينافسونهم في اكتساب المخازي ، وهم يريدون أن ينفردوا بها ، ويا لها مِنْ مُفَارَقَة عجيبة ، تُثِيرُ الذِّهْن ، وتدعو إلى التعجب ! ، ونرى الطباق بين (لِئَام) و(كِرَام) .

صانع المُفَارَقَة : الأصدقاء اللئام ، وفِعْل المُفَارَقَة : الفَرَح لموت الأكرمينَ ، والحُزْن لِبَقَاءِ لِئَامِ الناس ، وضحية المُفَارَقَة : ابن عبد ربه الأندلسيّ .

وقول **عَبْدُ المَلِكِ بْن إِدْرِيسَ الجَزِيرِيّ** (ت٣٩٤هـ) : (كامل)

وَإِذَا دُفِعْتَ إِلَى قَرِينٍ فَابْلُهُقَبْلَ التَّفَاوُضِ وَالتَّشَارُكِ وَاخْبُرِ

لا يَسْتَفِزُّكَ مَنْظَرٌ حَسَنٌ بَدَا حَتَّى تُقَابِلَهُ بِحُسْنِ المَخْبَرِ

فَالمَاءُ تُورِدُهُ الدِّلاءُ صَفَاؤُهُوَمَذَاقُهُ لِلآجِنِ المُتَغَيِّرِ

وَالسَّيفُ يُكْسِبُهُ البَهَاءُ حَلاوَةًوَفِعَالُهُ لِلعَاضِدِ المُتَأَخِّرِ

كَمْ مِنْ أَخٍ يَلْقَاكَ مِنْهُ ظَاهِرٌبَادٍ سَلامَتُهُ ، وَبَاطِنُهُ وَرِي [1]

يصف صديقًا له ، كان يلقاه – دومًا – بالابتسام ، ويُرَحِّبُ بِمَقْدِمِه ، ويُوَسِّع لَهُ فِي المَجْلِس ؛ فأعجبه هذا السُّلُوك ، وحَسِبَهُ صَدِيقًا مُصَافِيًا ، ولكن أحوجته الأيامُ إلى اخْتِبَارِهِ ، وعِنْدَئذٍ انكشف أَمْرُهُ ، ووجده مُخَادِعًا خبيثًا ؛ وحَدَثَتْ المُفَارَقَة بين تناقُضِ الأَقْوَالِ مع الأفعال ؛ لذا ينصحُ الناسَ بضرورة الاهتمام – في المقام الأول – بالجَوهَر ، لا المَخْبَر ، ويَعْرِضُ أَمْثِلَةً تُؤَكِّدُ صِحَّةَ حُجَّتِهِ ؛ فالماء لا بُدَّ مِنْ أن يكون صافيًا ؛ فما الفائدة من صفاء لَونِهِ وتَغَيُّر طَعْمِهِ ورائحته ؟ ، والسيف لا بُدَّ مِنْ أَنْ يكون قاطعًا ؛ فلنْ يَنْفَعَ إِنْ رَاقَ

(١) الجَزِيرِيّ : شعر أبي مَرْوَان الجَزِيرِيّ الأَنْدَلُسِيّ ، جمع أحمد عبد القادر صلاحية ، دار الشروق ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٧م ، ص ١٥٢ – ١٥٣ .

مَنْظَرُهُ ، وتَأَخَّرَ ضَرْبُهُ ، وكثيرٌ من الأصدقاء أدعياء ، لا خيرَ فيهم ، وُدُّهُمْ ظَاهِر ، وباطنهم مُشْتَعِل غِلاً وحِقْدًا .

ونرى الطباق بين (المنظر) و(المخبر) ، و(صفاء الماء) و(مذاقه الآجن) ، و(بَهَاء السَّيف) و(نُبُوّه عن الهدف) ، والمقابلة بين (سلامة الظاهر) ، و(فساد الباطن) .

صانع المُفَارَقَة : الصديق الذي يُظْهِرُ خِلافَ مَا يُبْطِن ، وفِعْل المُفَارَقَة : سلامة الظاهر وفساد الباطن ، وضحية المُفَارَقَة : عَبْدُ المَلِكِ بْن إِدْرِيسَ الجَزِيرِيّ .

وفي سنة ٤٥٨هـ حاول المُعْتَضِد (ت٤٦١هـ) الاستيلاء على مدينة مَالَقَة (Malaga) ، وإخراج البَرْبَر منها ؛ فَكَلَّفَ ابنه المُعْتَمِد (ت٤٨٨هـ) بمحاربة أمير مالَقَة ؛ فرحل هذا الأخير مع أخيه جابر يقودانِ جيشًا عظيمًا ، وتَمَكَّنَا من إِخْضَاع مالَقَة ، ولكنَّ بَعْضَ العَبِيدِ فَرُّوا ، ولاذوا بقلعة المدينة ، واستنجدوا بباديس بن حَبُّوس (ت٤٦٥هـ) ؛ فأنجدهم بجيشٍ زاخر ، فَتَكَ بجيش المُعْتَمِد [١] ، الذي تَمَلَّكهُ الرُّعْبُ مِنْ وَالِدِه ؛ فكتب إليه يستعطفه ، ويؤكد له أن الذين يستحقون العِقَاب هُمْ أعداؤه من البَرْبَر ، الذين يُكِنُّونَ له البُغْض والحِقْد ، ولا يتورعون عن غِشّه وخديعته ، يقول : (بسيط)

مَا الذَّنْبُ إِلاَّ عَلَى قَومٍ ذَوِي دَغَلٍوَفَى لَهُمْ عَهْدُكَ المَعْهُودُ إِذْ غَدَرُوا

قَومٌ نَصِيحَتُهُمْ غِشٌّ ، وَحُبُّهُمُ بُغْضٌ ، وَنَفْعُهُمْ – إِنْ صَرَّفُوا – ضَرَرُ

يُمَيِّزُ البُغْضُ فِي الأَلْفَاظِ ، إِنْ نَطَقُوا وَيُعْرَفُ الحِقْدُ فِي الأَلْحَاظِ ، إِنْ نَظَرُوا [٢]

إنَّ الانتقالَ المفاجئَ مِنَ النقيضِ إلى النقيضِ يُوَلِّدُ مفارقة تصدم القارئ ، وتَكْسِر تَوَقُّعَاته على مستوى التَّلَقِي ، وقد ظهرت المُفَارَقَة في تساوي

(١) ابن بَسَّام : في محاسن أهل الجَزِيرَة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ط١ ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، ٤٩/١/٢ – ٥٠ .

(٢) المُعْتَمِد بن عَبَّاد : ديوان المُعْتَمِد بن عَبَّاد ؛ ملك إشبيلية ، تحقيق حامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي ، راجعه طه حسين ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ط٤ ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م ، ص ٣٨ .

الأضداد ؛ فقد قابلوا وفاء المعتضد بالغدر ، وكانت نصيحتُهم غِشًّا ، وباءتْ كُلُّ مُحَاوَلاتِهِمْ المزعومة للنفع بالضَّرَرِ الجَسِيم .

هذا الجمع بين النقيضين : (نصيحة) و(غش) ، و(حُبّ) و(بُغْض) ، و(نفع) و(ضرر) ، جاء بطريقة تُحَوِّل الأوَّل بالضرورة إلى الثاني ؛ مِمَّا يُدْهِشُ القارئ ، وقد صَعَّدَ الشاعرُ المفارقةَ إلى الذِّروة فَإِنَّ مَا يُظْهِرُونَهُ مِنَ الحُبِّ بُغْضٌ تَكْشِفُهُ كَلِمَاتُ اللِّسَان ونَظَرَاتُ العَينِ ؛ والتناقُض هنا ليس مَنْشَؤُهُ الألفاظ على مستوى الدلالة المُعْجَمِيَّة بقدر ما هو ناشئ عن تناقُض الموقف نفسه ؛ مما أضفى على المُفَارقَة بُعْدًا ساخرًا وصادمًا في الوقت نفسه .

صانع المُفَارَقَة : أعداءُ المُعْتَضِد من البربر ، وفِعْلُ المُفَارَقَة : غِشّ النصيحة ، وإرادة الأذى ، وضَحِيَّةُ المُفَارَقَة : المُعْتَمِد وجيشه .

ولم يَجْرَحْ **أبو بَكْر بن المِلْح** (ت٥٠٠هـ) مشاعرَ أَصْدِقَائِهِ بِلَحْظٍ ، وتَوَهَّمْ مِنْهُم السِّلْم ، ووَثِقَ بِهِمْ ، وتَوَلَّدَتِ المُفَارَقَةُ مِنْ نَشْرِهم الجِرَاحَ فِي حَشَاه ، ومحاربته ، ومُكَافَأته بالغَدْرِ ؛ فقد أظهروا له الوُدَّ بِاللِّسَان ، والبُغْض بِالأَفْعَال ، وأرادوا له الشَّرَّ المُسْتَطِير ، ودَفَعُوهُ إِلَيهِ ، وكَرِهُوا لَهُ الخَيرَ ، وَصَرَفُوهُ عَنْهُ ، يقول : (طويل)

لَقَدْ ظَلَمَتْنِي أُمَّةٌ مَا خَمَشْتُهَا ... بِلَحْظٍ ، وَقَدْ عَمَّتْ حَشَايَ نُدُوبَا
تَوَهَّمْتُهُمْ سِلْمًا فَسُولِمْتُ ظَاهِرًا ... وَشَبُّوا عَلَى ظَهْرِ المَغِيبِ حُرُوبَا
وَثِقْتُ بِهِمْ فِي النَّائِبَاتِ فَأَخْلَفُوا ... وَكَانُوا إِلَى جَنْبِ الخُطُوبِ خُطُوبَا
فَكَمْ صَاحِبٍ مِنْهُمْ يَبِيتُ بِقَلْبِهِ ... بَعِيدًا ، وَيَغْدُو بِاللِّسَانِ قَرِيبَا
إِذَا لاحَ خَيرٌ ذَادَنِي عَنْ حِيَاضِهِ ... كَمَا ذَادَتِ الزَّجْرُ العَرَامِسَ نِيبَا
وَإِنْ عَنَّ شَرٌّ قَادَنِي نَحْوَ ضَنْكَةٍ ... جَنِيبًا ، وَأَنَّى لِي أُقَادُ جَنِيبَا (١)

(١) ابن المِلْح : شعر ابن المِلْح أبي بكر محمد بن إسحاق اللخميّ ، ضمن كتاب (شعراء أندلسيون) ، محمود محمد العامودي ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، فلسطين ، ط١ ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م ، ص ١٤٢ .

ونرى الطباق بين (مَا خَمَشْتُهَا) و(عَمَّتْ حَشَايَ نُدُوبَا) ، و(السِّلْم) و(الحَرْب) ، و(الثقة) و(الإخلاف) ، والمقابلة بين (بُعْد القلب) و(قُرْب اللِّسَان)، و(إِذَا لاحَ خَيرٌ ذَادَنِي عَنْ حِيَاضِهِ) و(وَإِنْ عَنَّ شَرٌّ قَادَنِي نَحْوَ ضَنْكَةٍ) ؛ مِمَّا يَدُلُّ على حسرة الشاعر لِغَدْرِ أصدقائه ، وخداعهم .

صانع المُفَارَقَة : أصدقاء ابن المِلْح ، وفِعْل المُفَارَقَة : الخداع ، وضحية المُفَارَقَة : ابن المِلْح .

وينصح **أبو عبد الله بن الطُّوبِيّ** نفسَه والآخرين بالحَذر مِنَ العَدُوِّ مرَّة ، ومن الصديق ألف مرة ؛ لأنَّه – في حقيقة الأمر – عدوٌّ مُسْتَتِر ؛ فهو يُضْمِرُ الكُرْهَ ، ويُظْهِرُ الوُدّ ؛ من خُبْثِهِ ؛ لأنه مخادع ، يقول : (كامل)

اِحْذَرْ صَدِيقَكَ إِنَّـهُ يَخْفَى عَلَيكَ وَلا يُبِينُ

إِنَّ العَـدُوَّ مُبَـارِزٌ لَكَ وَالصَّدِيقُ هُوَ الكَمِينُ [١]

نرى الطباق بين (الخفاء) و(الظهور) ، والمقابلة بين (العَدُو مُبَارِز) و(الصَّدِيق كَمِين) ، وتظهر المُفَارَقَة في الخروج عن المألوف ؛ فالأصل أن يكون الصديق موضع الأمن ، وسبيل الاطمئنان ؛ فهو الملجأُ لِصَاحِبِهِ ؛ فإذا انقلب الحالُ ، وصَارَ الصديقُ يَتَحَفَّظُ مِنْ صَدِيقِهِ ، ويَهْرَبُ مِنْهُ ؛ فلا بُدَّ مِنَ التأمُّل في حال الصديق ، وإعمال الذهن ؛ لأنه لا يجيء الإيذاء إلا مِمَّنْ نَعْرِفُهُ عن قُرْبٍ ، ونَثِقُ به .

صانع المُفَارَقَة : صديق أبي عبد الله بن الطُّوبِيّ ، وفِعْل المُفَارَقَة : إخفاء العَدَاوة ، وضحية المُفَارَقَة : أبو عبد الله بن الطُّوبِيّ .

ويؤكد **ابن حمديس الصَّقَلِيّ** (ت٥٢٧هـ) أنَّ كثيرًا من الأصدقاء مُخَادِعُونَ ، ومِنْ عَجَبٍ أَنْ يَتَوَلَّى اللِّصُّ حراسة الأمتعة ، ويا لها مِنْ مُفَارَقَة ؛

(١) أبو عبد الله بن الطوبيّ : دِيوَان أبي عبد الله بن الطوبيّ ، ضمن كتاب (دِيوَان الشِّعْر الصَّقَلِّي) ، جمع وتحقيق فوزي عيسى ، من تراثنا الشعري (١) ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، الكويت ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ط١ ، ٢٠٠٧م ، ص ٧٠ – ٧١ .

فلا بُدَّ مِنَ الاختبارِ قَبْل الثِّقَة ؛ فَنَزْهَد في مصادقة الشخص ، أو نحرص عليها؛ فقبل التجربة تظل الحقائق مستترة ، وينتشر الخداع ، يقول : (طويل)

وَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ كَامِنٍ فِي مُصَادِقٍ وَمَوْضِعِ أَمْنٍ فِيهِ يَحْتَرِسُ اللِّصُّ
كَذَاكَ خَلِيلُ المَرْءِ يَدْعُو اخْتِبَارُهُ إِلَى مَا يَكُونُ الزُّهْدُ فِيهِ أَوِ الحِرْصُ
وَلا خَيرَ فِي خُلْقٍ يُذَمُّ لِجَهْلِهِ وَيُحْمَدُ مِنْهُ قَبْلَ خِبْرَتِهِ الشَّخْصُ (١)

نرى الطباق بين (عَدُوّ) و(مُصَادِق) ، و(الزهد) و(الحرص) ، و(الذم) و(الحمد) ، و(الجهل) و(الخبرة) ؛ مِمَّا يُقَوِّي أثر المُفَارَقَة .

صانع المُفَارَقَة : صديق ابن حمديس ، وفعل المُفَارَقَة : إخفاء العداوة ، وضحية المُفَارَقَة : ابن حمديس .

ويُحَدِّثُنَا **أبو مُحَمَّد عبد الحقّ بن عَطِيَّة** (ت٥٤٢هـ) عن الداء المُتَمَثِّل في فقد الأصحاب وقت الحاجة إليهم ، ويقارن بين موقفه مع أصدقائه ، وموقفهم منه ، ويؤكد أنَّهُ قَدَّمَ الحُبَّ الخَالِصَ لأصدقاء لا يستحقونَ ذلك ، مَنْ يَرَاهُمْ مِنْ بَعِيدٍ يَحْسَبُهُمْ مَاءً قَرَاحًا ، وتَحْدُثُ المُفَارَقَة بعد التَّجْرِبَة ؛ حيثُ يَتَّضِحُ أنهم مِلْحٌ أُجَاجٌ ، مَثَلُهُمْ كَمِثْلِ اللُّؤلُؤ اللامِع الذي نَنْخَدِعُ بِهِ ، ولكنه عند الاختبار زُجَاجٌ رَدِيء : (مجزوء الكامل)

دَاءُ الزَّمَانِ وَأَهْلُهُ دَاءٌ يَعِزُّ لَهُ العِلاجْ
أَطْلَعْتُ فِي ظَلْمَائِهِ وُدًّا كَمَا سَطَعَ السِّرَاجْ
لِصَحَابَةٍ أَعْيَا ثِقَا فِي مِنْ قَنَاتِهِمُ اعْوِجَاجْ
أَخْلاقُهُمْ مَاءٌ ، صَفَا مَرْأًى ، وَمَطْعَمُهُمْ أُجَاجْ
كَالدُّرِّ مَا لَمْ تَخْتَبِرْ فَإِذَا اخْتَبَرْتَ فَهُمْ زُجَاجْ (٢)

ونرى الطباق بين (الظلماء) و(السِّرَاج) ، و(ماء) و(أُجَاج) ، و(الدُّرّ) و(الزجاج) ؛ مِمَّا يُقَوِّي المَعْنَى ، ويزيده رُسُوخًا في نفس القارئ (المُرَاقِب) .

(١) ابن حمديس : ديوان ابن حمديس ، صححه وقدم له إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م ، ص ٢٨٩ .

(٢) ابن خَاقَان : قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ، حَقَّقَهُ وعَلَّق عليه حسين يُوسُف خريُوش ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط١ ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م ، ٢/ ٦٧٠ .

صانع المُفَارَقَة : صديق عبد الحقّ بن عَطِيَّة ، وفِعْل المُفَارَقَة : التَّظَاهُر بِالتَّحَلِي بِالخُلُقِ القَوِيم ، وضحية المُفَارَقَة : عبد الحقّ بن عَطِيَّة .

إنَّ شَرَّ الإِخْوَانِ – عند **ابن لِيونَ التُّجِيبيّ** (ت٧٥٠هـ) – مَنْ حَالُهُ مُحَيِّر غامض ، لا نَعْرِفُ بَاطِنَهُ مِنْ ظَاهِرِهِ ؛ لأَنَّهُ مُخَادِعٌ غَادِر ، وتكون المُفَارَقَة عندما يَتَحَاشَى لقاء صديقه ، ويَتَهَرَّبُ مِنْه ، ويُوهِمُه – في الوقت نفسه – أَنَّهُ يُولِيه النُّصْحَ الخَالِص ، ونرى المقابلة بين (يُظْهِرُ الوُدَّ) و(يُخْفِي دَاءً) ، يقول : (مجزوء الرَّمَل)

شَرُّ إِخْوَانَكَ مَنْ لا تَهْتَدِي فِيهِ سَبِيلا
يُظْهِرُ الوُدَّ وَيُخْفِي مَكْرُهُ دَاءً دَخِيلا
يَتَّقِي مِنْكَ اتِّقَاءً وَهْوَ يُولِيكَ الجَمِيلا [١]

صانع المُفَارَقَة : صديق ابن لِيونَ التُّجِيبيّ ، وفِعْل المُفَارَقَة : التَّظَاهُر بالوُدّ ، وإخفاء البُغْض ، وضحية المُفَارَقَة : ابن لِيونَ التُّجِيبيّ .

ويتعجَّبُ **عبدُ الكَرِيمِ القَيسِيّ** (ت آخر ق ٩ هـ) مِنْ حَالِ مَنْ كان يَظُنُّهُمْ أصدقاء ؛ فقد أرادوا إبخاس حَقِّهِ ؛ فشكا للوزير الحاجب أبي يحيى بن عاصم (ت٨٥٧هـ) ؛ ومِمَّا زاد تعجبُّه أنه يراهم أقوياء في اكتساب الذنوب ، وضعفاء في كسب المنافع ، وعلى الرغم مِنْ كونهم يُعَدُّونَ في الورى ؛ فإنَّ نُطْقَهم يُشْبَهُ صَدَى الصَّوت ، وقد ضاعت أنوارُ الحقّ على أيديهم ، وسَطَعَ ظَلامُ الظُّلْم ، وفَجَرُوا في خصومتهم ، وهُمْ – في حقيقة أمرهم – أعداءٌ ماكرونَ ، وتتولد المُفَارَقَة مِنْ أَنَّهُمْ يقولون بلسانهم إنهم يحملون له كثيرًا مِنَ المَوَدَّة ، وتفضحهم عيونُهُم ، وتُظْهِرُ مَكْنُونَ الفُؤَادِ مِنْ بُغْض ، يقول : (البسيط)

(١) ابن لِيُونَ التُّجِيبيّ : ديوان ابن لِيُونَ التُّجِيبيّ ، ضمن كتاب (دواوين شعرية لشعراء أندلسيين) ، دراسة وتحقيق هدى شوكت بهنام ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م ، ص ٢٥٩ .

أَنْتَ الدَّوَاءُ إِذَا مَا أَعْضَلَ الدَّاءُ وَرَامَ هَضْمِيَ حُسَّادٌ وَأَعْدَاءُ

قَومٌ ضِعَافُ القُوَى فِي كَسْبِ مَنْفَعَةٍ وَفِي اكْتِسَابِ المَسَاوِي هُمْ أَشِدَّاءُ

الشَّكْلُ شَكْلُ الوَرَى ، وَالخَلْقُ خَلْقُهُمُ وَهُمْ إِذَا نَطَقُوا لا شَكَّ أَصْدَاءُ

أَمْرُ الأَمِيرِ مُضَاعٌ بَينَ أَظْهُرِهِمْ وَهُمْ إِذَا خُوصِمُوا قَومٌ أَلِدَّاءُ

وَالحَقُّ عِنْدَهُمُ أَنْوَارُهُ خَفِيَتْ وَعِنْدَهُمُ لِظَلامِ الظُّلْمِ إِبْدَاءُ

هُمُ العُدَاةُ إِذَا غَابُوا ؛ فَإِنْ حَضَرُوا قَالُوا بِمَكْرِهِمِ إِنَّا أَوِدَّاءُ (١)

ونرى الطباق بين (الدواء) و(الداء) ، والمُقَابَلَة بين (قَوم ضِعَافُ القُوَى فِي كَسْبِ مَنْفَعَةٍ) و(هُمْ أَشِدَّاءُ فِي اكْتِسَابِ المَسَاوِي) ، و(خَفَاء أنوار الحَقّ) و(سُطُوع ظَلام الظُّلْم) ، و(هُمُ العُدَاةُ إِذَا غَابُوا) و(أَوِدَّاءُ إِنْ حَضَرُوا) ، والتناقُض هنا مَنْشَؤُه السُّلُوك الذي يتعارض مع القول .

صانع المُفَارَقَة : أصدقاء عبدُ الكَرِيمِ القَيسِيّ ، وفِعْل المُفَارَقَة : التَّظَاهُر بالوُدّ ، وإخفاء البُغْض ، وضحية المُفَارَقَة : عبدُ الكَرِيمِ القَيسِيّ .

تتجلى مُفَارَقَة التنافُر البسيط حين نضع الشَّخْصِيَّتَينِ : (الشاعر المُخْلِص والصديق المُخَادِع) نُصْبَ عَينيّ القارئ (المُرَاقِب) ؛ فيدرك بسهولة التناقُض الواضح بين سُلُوكِهما ؛ فيتأكد أنَّ كثيرًا مِنْ الأصدقاء مُخَادِعُونَ ، يُظْهِرُونَ النُّصْحَ ، ولا هَمَّ لَهُمْ إلا إيقاع صاحبهم في العَثَرَات ، ومِثْل هَؤُلاء لا بُدَّ مِنْ تَجَنُّبِهِمْ ، والإعراض عن صحبتهم ؛ إيثارًا للسلامة .

إنَّ مفارقة التنافُر البسيط تَعْرِضُ نَمَطًا سُلُوكيًّا يُخَالِف القِيَم الأخلاقيَّة ، ويُغَايِر ثقافة المجتمع ؛ من أجل إثارة تعجُّب القارئ (المُرَاقِب) ، وغاية المُفَارَقَة: وصم الصديق الغادر بالخِسَّة ، واللُّؤْم ، وغيرها من الصفات المُسْتَقْبَحة .

(١) البسطي : ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي ، تحقيق جمعة شيخة ومحمد الهادي الطرابلسي ، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة) ، تونس ، ١٩٨٨م ، ص ١٦٢ .

المَبْحَثُ الثَّانِي : مُفَارَقَةُ الأَحْدَاثِ (Irony of Events) [١]:

يكشف هذا النوع من المُفَارَقَة عن خيبة أمل الشاعر في صديقه ، الذي وَثِقَ بِهِ ، وقَدَّمُ له الإِخَاءَ والمودَّةَ ، ووَجَدَ مِنْهُ الخِذْلان والجُحُود ؛ فكان الأَولَى أَنْ يُكَافِئَ عَلَى الإِحْسَانِ بِمِثْلِهِ ، ولكن سَرَتِ الأُمُورُ على خِلافِ المُتَوَقَّعَ ، ومِنَ البَلاءِ أَنْ يَخُونَ الصديقُ صَدِيقَهُ ، ويستعين به فلا يُعِينُهُ ، ويَشْكُو إليه فلا يَرْحَمُهُ .

وتنتج المُفَارَقَةُ من التعارُض بين ما يَتَوَقَّعُ الشاعرُ حُدُوثَهُ مِنْ صِدْقٍ ومودَّة وإخلاص ، وما هو واقع فعلاً مِنْ صديقه مِنْ كَذِب وكُرْه وخداع ، وبُرُوز الحَدَث المُفَاجِئ غير المتوقع يُغَيِّر سَير الأحداث ، التي تختلف فيما بينها في حِدَّة الانقلاب ، أو قُوَّة المفاجأة ، التي تَخْلُقُ مسافةً مِنَ التوتُّر الحادّ .

ومن أمثلة مفارقة الأحداث قول **مُحَمَّد بن عبد الواحد البغداديّ** (ت٤٥٥هـ) : (وافر)

وَأَعْظَمُ مِنْ مُصِيبَاتِ اللَّيَالِيعَلَيَّ وَصَرْفِهَا خِلٌّ خَؤُونُ
يُقَابِلُنِي بِوُدٍّ مُسْتَمِيلٍوَبَينَ ضُلُوعِهِ دَاءٌ دَفِينُ
إِذَا عَاتَبْتُهُ أَبْدَى مُجُونًاوَعِلَّةُ ذَلِكَ العَتْبِ المُجُونُ
وَمَنْ جَعَلَ السُّمُومَ لَهُ دَوَاءًفَيُوشِكُ أَنْ يُفَاجِئَهُ المَنُونُ [٢]

يَجْعَلُ الصديقَ الخائنَ أعظم مُصِيبة يُبْتَلَى بها المرءُ في دُنْيَاهُ ، والمُفَارَقَة أنه يُظْهِرُ مِنَ الوُدِّ قدرًا كبيرًا ؛ غِشًّا وخِدَاعًا ، على الرغم مِنْ أَنَّ الغِلَّ مُخْتَفٍ في صَدْرِهِ ، والمُدْهِشُ أَنَّهُ يُقَابِلُ العِتَابَ بالدُّعَابة والمُجُون ؛ كي لا ينكشف أَمْرُهُ ، ولا غرابة في أَنَّ مَنْ يتداوى بالسُّمُوم يَلْقَى حَتْفَهُ فِي نهاية الأمر ، كذلك الصديقُ الخائنُ سُمٌّ ، لا يُرْجَى مِنْهُ خير ، ويَصِلُ بِصَاحِبِه إلى طريق الهَاوِيَة ، والمقابلة بين الشطرين – في البيت الثاني – تُمَثِّل الأزمة النفسيَّة التي يعيشها الشاعر .

---

(١) انظر : ميويك : المُفَارقَة ، ٤/ ٩١ – ٩٥ ، ١٣٤ .
(٢) ابن بَسَّام : الذَّخِيرَة ، ١١٦/١/٤ .

صـانع المُفَارَقَـة : صـديق مُحَمَّـد بـن عبـد الواحـد البغـداديّ ، وفِعْـل المُفَارَقَـة: التَّظَـاهُر بـالوُدّ ، وإخفـاء الـبُغْض ، وضـحية المُفَارَقَـة : مُحَمَّـد بـن عبد الواحد البغداديّ .

وعَبَّر **ابن رَوبَش مُحَمَّد بن مَرْوَان بن عبد العزيز** عن زيف صديقه الوزير أبي بَكْر بْن عَبْد العَزِيز (ت٤٥٦هـ) صاحب بَلَنْسِيَة (Valencia) ، الذي فاجأه بذميم الغدر دون أدنى مُلابَسَة ؛ فقد عَدَّهُ شمسًا ساطعة تَغْمُرُ بضيائها البلاد الواسعة ، وأَمَلَ أنْ يَتَّخِذَهُ أخًا ، وجعله غرسًا يرعاه ليتمتع بِلَذِيذِ ثَمَرِهِ ، وتَوَلَّدَت المُفَارَقَة من تَتَابُعِ الأحداث المُفَاجِئَة الصادمة ؛ فقد انصرف عنه ، وساق له ما يؤذي مشاعره ، ويغيظه ، واكتشف أنه حنظلاً مُرًّا ، يقول: (بسيط)

يَا أَحْسَنَ النَّاسِ آدَابًا وَأَخْلاقَا وَأَكْرَمَ النَّاسِ أَغْصَانًا وَأَورَاقَا
وَيَا حَيَا الأَرْضِ لِمْ نَكَّبْتَ عَنْ سَنَنِي وَسُقْتَ نَحْوِي إِرْعَادًا وَإِبْرَاقَا
وَيَا سَنَا الشَّمْسِ لِمْ أَظْلَمْتَ فِي بَصَرِي وَقَدْ وَسِعْتَ بِلادَ اللهِ إِشْرَاقَا
مِنْ أَيِّ بَابٍ سَعَتْ غِيَرُ الزَّمَانِ إِلَى رَحِيبِ صَدْرِكَ حَتَّى قِيلَ قَدْ ضَاقَا؟
قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُنِي فِي حُسْنِ رَأْيِكَ لِي أَنِّي أَخَذْتُ عَلَى الأَيَّامِ مِيثَاقَا [١]

ونرى المقابلة بين (لِمْ أَظْلَمْتَ فِي بَصَرِي) و(وَسِعْتَ بِلادَ اللهِ إِشْرَاقَا) ، والطباق بين (الرحابة) و(الضيق) .

صانع المُفَارَقَة : الوزير أبو بَكْر بْن عَبْد العَزِيز ، وفِعْل المُفَارَقَة : تغيُّر معاملته مع صديقه إلى النقيض ، وضحية المُفَارَقَة : ابن رَوبَش مُحَمَّد بن مَرْوَان بن عبد العزيز .

ويتعجَّبُ **ابنُ رَشِيق القَيرَوَانِيّ** (ت٤٥٦هـ) مِنْ شَأْنِ صديقه المُقَرَّب الذي يُسِيءُ الظَّنَّ به ويَتَّهِمَهُ ، مِنْ غَيرِ وَجْهِ حَقٍّ ، وما أساء إليه قطُّ ، وعلى الرغم من حُبِّهِ الشديد له ؛ فإنَّهُ كثيرًا ما أورده المهالك ، وكان شأنُهُ مَعَهُ

(١) ابن خَاقَان : مَطْمَح الأَنْفُس وَمَسْرَح التَّأَنُّس فِي مُلَح أَهْلِ الأَنْدَلُس ، دراسة وتحقيق محمد على شوابكة ، منشورات دار عمار ومؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، ص ١٧٥ – ١٧٦ .

كَالعُود ، الذي يُجَازِي مَنْ يَحْرِقُهُ بالنار برائحته الطَّيِّبَة ، التي تنتشر مُحَلِّقَةً في الآفاق ، وتلك مُفَارقَة الأحداث ، أو فَلْنَقُلْ بعبارة أخرى : (صدمة إدراكيَّة) ، ونرى الطباق بين (مقت) و(مقه) ، و(الثناء) و(الإساءة) ، يقول : (متقارب)

أَرَاكَ اتَّهَمْتَ أَخَاكَ الثِّقَهْ وَعِنْدَكَ مَقْتٌ وَعِنْدِي مِقَهْ

وَأُثْنِي عَلَيكَ وَقَدْ سُؤْتَنِي كَمَا طَيَّبَ العُودَ مَنْ أَحْرَقَهْ (١)

صانع المُفَارَقَة : صديق ابنِ رَشِيق القَيرَوَانِيّ ، وفِعْل المُفَارَقَة : اتهام صديقه الثِّقَة دُونَ وجه حق ، وكُرْهه ، والإساءة إليه ، وضحية المُفَارَقَة : ابنِ رَشِيق القَيرَوَانِيّ .

وتَوَقَّعَ **عَلِيُّ الحُصْرِيّ القَيرَوَانِيّ** (ت٤٨٨هـ) مِنْ صَدِيقه المنفعة ، وانتظر منه المَسَرَّة ، وأودعه ثقته ، وتولدت مفارقة الأحداث مِنْ أَنَّهُ وَجَدَ المَضَرَّة ، ولاقى المساءة ، وذاق الخيانة ، ونرى الطباق بين (شَهْدَةً) و(المُرّ) ، يقول : (كامل)

كَمْ مِنْ خَلِيلٍ كَانَ عِنْدِي شَهْدَةً حَتَّى بَلَوتُ المُرَّ مِنْ أَخْلاقِهِ

كَالمِلْحِ يُحْسَبُ سُكَّرًا فِي لَونِهِ أَو حَجْمِهِ وَيَحُولُ عِنْدَ مَذَاقِهِ (٢)

وقد خَدَعه كثيرٌ مِنَ الأصدقاء ، الذين تَوَهَّمَ أَنَّهُمْ صالحونَ ، وعند الاختبار تَبَيَّنَ مدى خديعته ، وأنهم أصدقاء السُّرُور ، ومثلهم كالمِلْح الذي يُشْبِهُ السُّكَّر في لونه وحجمه ، ولكن عند المذاق تَظْهَرُ مُلُوحته .

صانع المُفَارَقَة : صديق عَلِيُّ الحُصْرِيّ القَيرَوَانِيّ ، وفِعْل المُفَارَقَة : فساد أخلاق الصديق ، وضحية المُفَارَقَة : عَلِيُّ الحُصْرِيّ القَيرَوَانِيّ .

وقد أثبتت الأيامُ خَيبَةَ ظُنُونِ **أبي الحسن جعفر بن الحاج اللَّورَقِيّ** (ت٥١٠هـ) في صديقه ؛ الذي يُسَرُّ – سُرُورًا كَبِيرًا – بما يُحْزِنُهُ ، وتبدو

(١) ابن رشيق القيرواني : ديوان ابن رَشِيق القَيرَوَانِيّ ، جمعه ورَتَّبَهُ عبد الرحمن ياغي ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م ، ص ١٢٢ .

(٢) الحُصْرِيّ القَيرَوَانِيّ : ديوان أبي الحسن الحُصْرِيّ القَيرَوَانِيّ ، جمع وتحقيق محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى ، مكتبة المنار ، تونس ، ١٩٦٣م ، ص ١٣٣ .

البغضاءُ مِنْ أَفْعَالِهِ ، وما يُخْفِي في صَدْرِهِ مِنَ الكُرْهِ أَكْبَر ، والمُفَارَقَة أنه – في حقيقة أمره – سُمٌّ زُعَاف ، ولكنه يخدعه ، ويتظاهر بأنه أَرْيٌ مَشُور ، ولا يَجِدُ مِنْهُ إلا الأذى ، ونرى الطباق بين (السرور) و(الإساءة) ، يقول : (وافر)

أَخٌ لِي كُنْتُ آمَنُهُ غُرُورَا يُسَرُّ بِمَا أُسَاءُ بِهِ سُرُورَا [1]

صانع المُفَارَقَة : صديق جعفر بن الحاج اللَّورَقِيّ، وفِعْل المُفَارَقَة : السُّرُورُ بِمَا يُحْزِن صديقه ، وضحية المُفَارَقَة : جعفر بن الحاج اللَّورَقِيّ .

وتُخَيِّبُ مفارقة الأحداث تَوَقُّعَات القارئ (المُرَاقِب) ؛ فحين يكونُ السياقُ آخذًا في تِعْدَادِ فضائل الشاعر التي غَمَرَ بها صديقَهُ ونُبْلِهِ وكَرَمِه ، يذهب توقُّع القارئُ إلى أنَّ صديقَهُ سَيُوَجِّهُ إليه الشُّكْر ؛ فتأتي الخيبة ، أو كسر التَّوَقُّع ، وتَكْمُنُ المُفَارَقَة في حُدُوثِ عُنْصُرِ المُفَاجأة ؛ فقد جُوزِيَ بِالجُحُودِ ونُكْرَانِ الفَضْلِ ، ونرى عندما نقارن بين موقف **أبي جعفر بن عَائِش** وردّ فِعْل صديقه ؛ فَهُو يُورِدُهُ المَورِدَ السَّلْسَل ، ويَهَشُّ فِي وَجْهِهِ مَسْرُورًا ، والمُفَارَقَة أنه يَلْقَى مِنْهُ المَورِد المالِح ، ولا يَجِدُ منه إلاَّ العَبُوس ، إِنَّهُ معه فِي عَنَاءٍ لا ينتهي ؛ بُغْيَة إِصْلاحِهِ ، ونرى المقابلة بين (أُورِدُهُ سَلْسَلاً) و(يُورِدُنِي مَالِحَا) ، و(أَلْقَاهُ ضَاحِكًا) و(يَلْتَقِينِي كَالِحَا) ، والطباق بين (الفساد) والصلاح) ، يقول : (سريع)

وَلِي أَخٌ أُورِدُهُ سَلْسَلاً لَكِنَّهُ يُورِدُنِي مَالِحَا
أَلْقَاهُ كَي أَبْسِطَهُ ضَاحِكًا وَيَلْتَقِينِي أَبَدًا كَالِحَا
وَلَيسَ يَنْفَكُّ عَنَائِي بِهِ مَا رُمْتُ مِنْ فَاسِدِهِ صَالِحَا [2]

صانع المُفَارَقَة : صديق أبي جعفر بن عَائِش ، وفِعْل المُفَارَقَة : الإِصْرَارُ على إيذاء صديقه ، وضحية المُفَارَقَة : أبو جعفر بن عَائِش .

ويرتفع صوت **أبي تَمَّام غَالِب بن رَبَاح الحَجَّام** مُتَعَجِّبًا في حَسْرَةٍ شديدة وحُرْقَةٍ لاذعة : (سريع)

---

(١) **ابن خَاقَان : قَلائِد العِقْيَان ، ١/ ٤٠٢ .**

(٢) المقَّرِيّ : نَفْحُ الطِّيبِ مِنْ غُصْنِ الأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م ، ٤٢١/٣ .

لِي صَاحِبٌ لا كَانَ مِنْ صَاحِبٍ فَإِنَّـهُ فِـي كَبِدِي جُرْحَـهْ
يَحْكِي إِذَا أَبْصَرَ لِي زَلَّـةً ذُبَابَةً تَـضْـرِبُ فِي قُرْحَهْ (١)

على الرغم مِنْ أَنَّـهُ صَـاحَبَهُ ؛ فإنـه لـم يَحْصُـدْ مِـنْ صُـحْبَتِهِ الطويلـة إلا الجُرُوح ، ويا ليت الأمرَ تَوَقَّفَ على ذلك ، بل إنَّ ذلك الصديقَ كُلَّمَا أبصر لـه زَلَّـةً سَـارَعَ إلـى نَشْـرِهَا بـين النـاس شرقًا وغربًـا ؛ مِمَّـا يُثِيـرُ لَدَيـهِ الشُّـعورَ بالاشمئزاز ؛ فهو لا يعبأُ بِأَلَمِهِ ، وكُلُّ هَمِّهِ كيف يُحَقِّقُ لِنَفْسِهِ نفعًا من ورائه ؛ فيُظْهِر عَيبَهُ بين الناس من باب التندُّر ، وفي الوقت نفسه يتظاهر بالشفقة ، وأنه يَرْثِي لحاله ، وكأنه مِثْلُ الذُّبَابَة التي تَضْرِبُ بِأَرْجُلِهَا – بكل قسوة – في قُرْحَـة ؛ لكـي تُـؤْلِمَ صـاحبَها ، وتلتـذُّ بطعـم الـدماء ، فضـلاً عـن زيـادة حجـم القُرْحَـة، وتشـويه منظرهـا ، ومـا أَعْجَبَـهُ مِـنْ صَـاحِبٍ ، يُحْـزِنُ الـنَّفْسُ قُرْبَـهُ ، ويُبْهِجُهَا صَرْمَهُ ، ويا لها من مفارقة !

صـانع المُفَارَقَـة : صـديق أبـي تَمَّـام غَالِـب بـن رَبَـاح الحَجَّـام ، وفِعْـل المُفَارَقَة : إذاعة عُيُوب صديقه ، وضحية المُفَارَقَة : أبو تَمَّام غَالِب بن رَبَاح الحَجَّام .

ويشكو **الأميرُ عَمَّارُ بن منصور الكلبيّ** ابنَ عَمِّهِ وصديقه ، الذي خَذَلَهُ وقت الشدة ؛ فقد عَدَّهُ سَيفًا يرفعه في وجه الأعداء ؛ وكانت المُفَارَقَةُ حين فُوجِئَ بأنه يَحْمِلُ السيفَ ليحمي نَفْسَهُ مِنْ غَدْرِهِ ، وجاءه يومًا يبغي العِزَّة والكَرَامَة ؛ وكانت المُفَارَقَة حين عاد مقهورًا يَبْكِي ذُلَّهُ وهَوَانَهُ ، يقول : (طويل)

ظَنَنْتُكَ سَيفًا أَنْتَضِيكَ عَلَى العِدَى وَمَا خِلْتُ أَنِّي أَنْتَضِيكَ عَلَى نَفْسِي
وَجِئْتُكَ أَبْغِي رِفْعَةً وَكَرَامَةً فَأَمْسَيتُ مَقْهُورًا بِقُرْبِكَ فِي حَبْسِ (٢)

لقد كان جَزَاءُ الإِحْسَانِ الخِذْلان ، وتَوَقَّعَ الشاعرُ مِنْ صَدِيقِهِ الموافقة والمساعدة ؛ فوجد المخالفة والمشاكسة ، وانتظر منه أن يكون عُدَّتَهُ عند

(١) ابن بَسَّام : الذَّخِيرَة ، ٨٣٩/٢/٣ .
(٢) شعراء صقلية : دِيوَان الشِّعْر الصَّقَلِّي ، ص ٢٣٣ .

البلاء؛ فوجده عونًا مع الدهر عليه ؛ فكانَ المَوقِفُ المُعْلَنُ مُفَاجَأةً للشاعر (الضحية) وللقارئ (المُرَاقِب) معًا .

صانع المُفَارَقَة : ابن عَمّ الأمير عَمَّار بن منصور الكلبيّ ، وفِعْل المُفَارَقَة : خِذْلان صديقه ، وضحية المُفَارَقَة : الأمير عَمَّار بن منصور الكلبيّ.

ويتحدثُ **ابنُ مَكّيّ الصَّقَلّيّ** (ت٥٠١هـ) عن صديقه ، الذي انتظر مِنْهُ أَنْ يَحْمِلَ هَمَّهُ ، ويُخَفِّفَ عِبْئَهُ ، ويُسْعِدَ قَلْبَهُ ، ولكنه في كل يوم وليلة يَطْلُبُ مِنْهُ مَا يَشُقُّ عَلَيه ، ويُدْخِلُ الهَمَّ إلى قَلْبِهِ ، ويُثْقِلُ عَلَيهِ ؛ ولِذَا تَأَكَّدَ الشاعرُ مِنْ كَونِه عَدُوًّا مُبِينًا ؛ لأَنَّ عَلامَةَ صِدْقِ الوُدِّ التَّدْلِيل ، والإفراط في الحُنُوّ ، لا الإفراط في التَّجَنِّي والإغضاب ، وتلك مفارقة الأحداث ، يقول : (كامل)

صَدِيقِي الذِي فِي كُلِّ يَومٍ وَلَيلَةٍ يُكَلِّفُنِي مِنْ أَمْرِهِ مَا لَهُ بَالُ
وَلا يُؤثِرُ التَّخْفِيفَ عَنِّي فَإِنَّمَا عَلامَةُ صِدْقِ الوُدِّ عِنْدِيَ إِدْلالُ [1]

صانع المُفَارَقَة : صديق ابن مَكّيّ الصَّقَلّيّ ، وفِعْل المُفَارَقَة : إثقال كاهل صديقه بالأعباء ، وضحية المُفَارَقَة : ابن مَكّيّ الصَّقَلّيّ .

ويُلازِمُ المَرَضُ الأشيبَ ، ويَطُولُ عَنَاؤُهُ ، وتَزْدَادُ الأُمُورُ سُوءًا بِخِيَانَةِ الأصدقاء ، الذين ينصرفون لِقُدُومِ المَشِيبِ ، وما يُصَاحِبُهُ مِنَ المَرَضِ ، ويَزْدَادُ جَفَاؤُهُمْ ؛ فتَنْقُصُ مَوَدَّةُ الشَّاعِر ؛ فإنَّ مِنَ الزِّيَادَةِ مَا يُوجِبُ النُّقْصَان ؛ فزيادة السِّنّ تُوجِبُ نَقْصَ العُمْر ، وزِيَادَة الجَفَاء تُوجِبُ نَقْصَ المَوَدَّة ، وزِيَادة الشَّيب تُوجِب نَقْص الأَصْدِقَاء ، وهذه مفارقة المفاجأة ، ونرى المقابلة بين (زَادُوا جَفَاءً) و(انْتَقَصْتَ مَوَدَّةً) ، والطباق بين (الزيادة) و(النقصان) ، يقول **ابن اللبانة الداني** (ت٥٠٧هـ) : (الكامل)

(١) المصدر السابق ، ص ٣١٢ .

زَمَنُ المَشِيبِ زَمَانَةٌ وَلَرُبَّمَازَادَتْكَ فِيهِ خِيَانَةُ الإِخْوَانِ

زَادُوا جَفَاءً فَانْتَقَصْتَ مَوَدَّةً وَمِنَ الزِّيَادَةِ مُوجِبُ النُّقْصَانِ (١)

صانع المُفَارَقَة : أصدقاء ابن اللبانة الداني ، وفِعْلُ المُفَارَقَة : خيانة الصديق ، وضحية المُفَارَقَة : ابن اللبانة الدانيّ .

واعتقد **الجَزَّار السَّرَقُسْطِيّ** (ت٥١٥هـ) سير الأحداث في اتجاه معين ، وسارت الأحداث في الاتجاه المُضَاد ؛ فقد تَوَقَّعَ الوَفَاءَ من صديقه الأديبِ الشاعرِ أبي الحسن باقي بن أحمد ، وافترض أنه سوف يُعَامِلُهُ بالحسنى ، وما حدث أدى إلى المُفَارَقَة ؛ فقد كانت نتيجة مَحْض الوفاء الخداع والمكر ؛ فالأسباب هنا لم تُوَدِّ إلى نتائجها المُنْتَظَرة ، بل آلت إلى نتائج مُنَاقِضة تَمَامًا للمُقَدِّمات ، ومِنْ هُنَا تَوَلَّدَتْ مُفَارَقَةُ الأحداث ، يقول : (طويل)

أَبَا حَسَنٍ إِنَّ الحَدِيثَ مَسَاقُهُ إِلَيكَ ؛ فَمَا هَذِي الأُمُورُ العَجَائِبُ

أَتُبْدِي إِخَاءً ، ثُمَّ تُضْمِرُ ضِدَّهُ وَتُظْهِرُ لِي سِلْمًا ، وَأَنْتَ مُحَارِبُ

وَأَسْقِيكَ مَاءَ الوُدِّ صَفْوًا مِنَ القَذَى وَأَنْتَ لَهُ بِالغِلِّ وَالحِقْدِ شَائِبُ

وَيَا عَجَبًا ضِدَّانِ فِيكَ تَجَمَّعَا فُؤَادُكَ يُقْصِينِي ، وَأَنْتَ تُعَاقِبُ (٢)

يُخَاطِبُ صديقَهُ ، ويُبْدِي عظيم تعجبُّه ، ويسأله كيف يُبْدِي الإخلاص والمودَّة ، ويُضْمِرُ البُغْض ، وكيف يُظْهِرُ السِّلم ، ويُبْطِن الحَرْب ، وقد سقاه مِنْ حُبِّهِ الخالص مِنَ الأذى ، وكان ردُّهُ الغِلّ المَشُوب بالحِقْد ، ويَصْعَدُ بِالمُفَارَقَة إلى الذِّرْوَة في البيت الأخير ؛ فقد أقرَّ أنَّهُ تجمَّعَتْ فيه العجائب ؛ ففؤاده يكرهه ، ولا تخفى دلائل هذا الكُرْه ، الذي يَدْفَعُ الشَّاعِرَ إلى الابتعاد ،

(١) ابن اللبانة : ديوان ابن اللبانة الداني ؛ مجموع شعره ، جمع وتحقيق محمد مجيد السعيد ، دار الراية للنشر والتوزيع ، عمان ، المملكة الأردنية الهاشمية ، ط٢ ، ٢٠٠٨م ، ص ١٤٠ .

(٢) الجَزَّار السَّرَقُسْطِيّ : رَوضَة المَحَاسِن وعُمْدَة المُحَاسِن ، ديوان الجَزَّار السَّرَقُسْطِيّ ، وفصول من كتابه (بادرة العصر وفائدة المصر) ، صنعة أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مطروح السرقسطي (ت٦٠٦هـ) ، تحقيق ودراسة واستدراك منجد مصطفى بهجت ، جدارا للكتاب العالمي ، عمان ، الأردن ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ٢٠٠٨م ، ص ٧٢ .

ولكنَّ الأمرَ لا يَقِفُ على ذلك فإنَّ ذلك الصديق يترصده ، ويُلاحِقُهُ بِصُنُوفٍ من العذاب عن قُرْب ؛ فتزدادُ حَسْرَةُ الشاعرِ (الضحية) حين تنكشف له الحقيقة ، ويشاركه القارئُ (المُرَاقِبُ) في الشعورِ نَفْسَهُ .

ونرى المقابلة بين (تُبْدِي إِخَاءً) و(تُضْمِرُ ضِدَّهُ) ، و(تُظْهِرُ سِلْمًا) و(أَنْتَ مُحَارِبُ) ، و(أَسْقِيكَ مَاءَ الوُدِّ صَفْوًا مِنَ القَذَى) و(أَنْتَ لَهُ بِالغِلِّ وَالحِقْدِ شَائِبُ) .

صانع المُفَارَقَة : أبو الحسن باقي بن أحمد ، وفِعْل المُفَارَقَة : التظاهر بالإخاء والمسالمة والوُدّ على خِلافِ الحقيقة ، وضحية المُفَارَقَة : الجَزَّار السَّرَقُسْطِيّ .

ويجعل **ابن سارة الأندلسيّ** (ت٥١٧هـ) صاحبه كَدَاءِ البَطْنِ ، يُؤذِي ويَضُرُّ ، ويُنَغِّصُ العَيشَ ، يقول : (بسيط)

وَصَاحِبٍ لِي كَدَاءِ البَطْنِ صُحْبَتُهُ يَوُدُّنِي كَوِدَادِ الذِّئْبِ لِلرَّاعِي
يُثْنِي عَلَيَّ جَزَاهُ اللهُ صَالِحَةً ثَنَاءَ هِنْدٍ عَلَى رَوحِ بْنِ زَنْبَاعِ [1]

يَزْعُمُ الشاعرُ أنَّ صَاحِبَهُ يُحِبُّهُ ؛ فنَنْتَظِر أنْ يُخْبِرَنَا بِمَدَى الوُدّ الكامن فِي قَلْبِهِ ؛ فَنَرَاهُ يَقُول : (كَوِدَادِ الذِّئْبِ لِلرَّاعِي) ، أيّ أنه يَكْرَهُهُ كرهًا شديدًا ، ولا يُطيق رُؤيَتَهُ ، ويقول إنه يُثْنِي عَلَيهِ ثَنَاءً حَسَنًا ؛ فننتظر أنْ نَسْمَعَ آياتِ الشكر ؛ فنراه يقول : (ثَنَاءَ هِنْدٍ عَلَى رَوحِ بْنِ زَنْبَاعِ) ، ولم تُثْنِ هِنْد على زوجها رَوح ، بل كانت تكرهه ، وتَذُمُّه بِأَبْشَعِ الصِّفَات ، وهذه مفارقة أحداث ؛ فقد كَسَرَ الشاعرُ أُفُق المُتَوَقَّع سَمَاعه ، وأدهش القارئَ ، وحَرَّكَ تَفْكِيرَهُ ، وأثار تعجُّبَه ، وجعله يبتسم .

صانع المُفَارَقَة : صديق ابن سارة الأندلسيّ ، وفِعْل المُفَارَقَة : ادعاء المودة وإخفاء البُغْض ، وضحية المُفَارَقَة : ابن سارة الأندلسيّ .

(١) ابن سارة الأندلسي : ابن سارة الأندلسي ؛ حياته وشعره ، مصطفى عوض الكريم ، مطبعة مصر ، السودان ، ١٩٨٥م ، ص ٩٣ .

وقد أُصِيبَ **أبو عبد الله الإستجي** بِالذُّهُولِ ، وكاد عَقْلُهُ أَنْ يَذْهَبَ ، مِنْ هَولِ مَا حَدَثَ ؛ فَقَدْ أَدَّىَ حَقَّ الصَّدِيقِ عليه كاملاً ، غيرَ مَنْقُوصٍ ، بِصَدْرٍ رَحْب ، وحُبٍّ صَادِقٍ ، وكانت المُفَارَقَة أنه لم يجد من صديقه إلا إهمال حقوقه ، والإعراض عنه ؛ ومِنْ عَجَبٍ أَنْ يُتْقِنَ المَرْءُ التَّمْثِيلَ ، وارتداء الأقنعة ؛ فتارةً يَقْتَرِبُ مِنْهُ ، ويجعل نفسه في صورة الثعلب ، وأُخْرَى يبتعد ، ويظهر في هيئة أسد ؛ لذا أَكَّدَ الشاعرُ أَنَّهُ كَاذِبٌ مُخَادِعٌ في كُلِّ حالاته ؛ ونَصَحَ الآخرين إِنْ رأوا صاحبهم مُتَذَلِّلاً أنْ يعلموا أنَّهُ – في حقيقة أمره – مُتَجَبِّرًا ؛ فهو لا يُظْهِرُ إلا خِلاف حاله ؛ مِنْ فَرْطِ لُؤمِهِ وخِسَّتِهِ ، إنه مِثْلُ النارِ التي تَلْتَهِبُ احْمِرَارًا ، ولا يعني ذلك اللون الخجل ، وكالذهب الذي يَلْمَعُ اصْفِرَارًا ، ولا يعني ذلك اللون المرض ، يقول : (طويل)

وَحَقِّكَ مَا قَصَّرْتُ فِي حَقِّ صَاحِبٍ وَلَكِنَّنِي لَمْ أَلْقَ إِلاَّ مُقَصِّرَا
إِذَا مَا دَنَا مِنِّي تَصَوَّرَ ثَعْلَبَا وَمَهْمَا نَأَى عَنِّي تَصَوَّرَ قَسْوَرَا
وَإِنْ أَنْتَ عَايَنْتَ التَّذَلُّلَ مِنْ أَخٍ فَلا تَعْتَقِدْ مِنْ ذَاكَ إِلاَّ تَجَبُّرَا
فَمَا مِنْ حَيَاءٍ تَكْتَسِي النَّارُ حُمْرَةً وَلا مِنْ سَقَامٍ مَعْدِنَ التِّبْرِ أَصْفَرَا (١)

ونرى المقابلة بين (إِذَا مَا دَنَا مِنِّي تَصَوَّرَ ثَعْلَبَا) و(مَهْمَا نَأَى عَنِّي تَصَوَّرَ قَسْوَرَا) ، والطباق بين (التذلُّل) و(التجبُّر) .

صانع المُفَارَقَة : صديق أبي عبد الله الإستجي ، وفعل المُفَارَقَة : التقصير في حَقِّ الصديق ، وضحية المُفَارَقَة : أبو عبد الله الإستجي .

ولَقِيَ **ابنُ جُبَير** (ت٦١٤هـ) العَجَائِبَ مِنْ أَصْدِقَائِهِ ، الذين يَغْدِرُن بِالعُهُودِ ، وهذا خِلاف المُرُوءَة ، والمُفَارَقَة أنَّ ظَاهِرَهُمْ يُخَالِفُ بَاطِنَهُمْ ، إنهم يَتَظَاهَرُونَ بِالوُدّ والصِّدْق ، وهُمْ – في حقيقة أمرهم – كَارِهُونَ كَاذِبُونَ

(١) ابن عسكر وابن خميس : أعلام مَالَقَة ، تقديم وتخريج وتعليق عبد الله المرابط الترغي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، دار الأمان للنشر والتوزيع ، زنقة الماموينة ، الرباط ، ط١ ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م ، ص ٣٤٢ .

مُخَادِعُونَ ، ومَا قَادَهُ إلا المَهَالِك إلا ثِقَته المُفْرِطَة بهم ، وحُسْن ظَنِّهِ ؛ من غفلته ، ومِنْ هُنَا خَرَجَ بِحقيقة مُفَادَهَا : إنَّ الصَّدِيقَ الوَفِي ليس له وُجُود كعَنْقَاء مُغْرِب يُسْمَعُ بها ، ولا تُرى ، يقول : (طويل)

وَجَرَّبْتُ إِخْوَانَ الزَّمَانِ فَلَمْ أَجِدْ صَدِيقًا جَمِيلَ الغَيبِ فِي حَالِ بُعْدِهِ
وَكَمْ صَاحِبٍ عَاشَرْتُهُ وَأَلِفْتُهُ فَمَا دَامَ لِي يَومًا عَلَى حُسْنِ عَهْدِهِ
وَكَمْ غَرَّنِي تَحْسِينُ ظَنِّي بِهِ فَلَمْ يُضِيءُ لِي عَلَى طُولِ اقْتِدَاحِي لِزَنْدِهِ
وَأَغْرَبُ مِنْ عَنْقَاءَ فِي الدَّهْرِ مُغْرِبٍ أَخُو ثِقَةٍ يَسْقِيكَ صَافِي وُدِّهِ (١)

صانع المُفَارَقَة : أصدقاء ابن جُبَير ، وفِعْلُ المُفَارَقَة : الغدر بالعهود ، وضَحِيَّةُ المُفَارَقَة : ابن جُبَير .

ويشكو **عَلِيّ بْن مُوسَى بْن سَعِيد** (ت٦٨٥هـ) الأصدقاء المنافقين الذين فضَّل الغربة على مصاحبتهم ؛ فَهُم دَاءٌ دفين ، وذئاب تُخْفِي حِقْدَهَا بألسنةٍ معسولة ؛ فغدت غُرْبَته غُرْبَتَينِ : غُرْبَة البُعْدِ عن الوطن ، وغُرْبَة العَالِم المُتَأَدِّب بين جُهَّال ، يقول : (طويل)

صِحَابٌ هُمُ الدَّاءُ الدَّفِينُ فَلَيتَنِي وَلَمْ أَدْنُ مِنْهُمْ ؛ لِلذِّئَابِ صَحُوبُ
كَلامَهُمُ شَهْدٌ وَلَكِنَّ فِعْلَهُمْ كَسُمٍّ لَهُ بَينَ الضُّلُوعِ دَبِيبُ
سَأَرْحَلُ عَنْهُمْ وَالتَّجَارِبُ لَمْ تَدَعْ بِقَلْبِي لَهُمْ شَيئًا عَلَيهِ أُثِيبُ (٢)

تولدت المُفَارَقَة مِنْ تَتَابُعِ الأحداث ؛ فقد صَاحَبَ مَنْ يُشْبِهُ في ضَرَاوَتِهِ وقسوته الداء المُتَمَكِّن مِنَ الجَسَد ، الذي لا يُمْكِنُ للمرءِ الخَلاص مِنْهُ ، على الرغم مِنْ أَلَمِهِ الشديد ؛ لذا تَحَسَّرَ عَلَى العُمْرِ الذِي قَضَاهُ فِي صُحْبَتِهِمْ ؛ حَتَّى انكشف أمرُهُمْ ، وبَانَ غَدْرُهُمْ ، وظَهَرَ زَيفُهُمْ ؛ فَصَرَّحَ بِأَنَّ صُحْبَةَ الذِّئَابِ أَرْبَحُ مِنْ مُصَاحَبَةِ مِثْل هؤلاء ، وكانت وسيلة الخداع هي الكلام المُنَمَّق المُزَخْرَف ، الذي يُغَطِّي على قُبْحِ الفِعْل ، الذي يَسْرِي في الضلوع كالسُّمّ الزُّعَاف ؛ لذا قرر الرحيل عنهم ؛ بعد أنْ أَيقَنَ أَنَّهُ لن يستفيدَ منهم خيرًا ، ولا بُدَّ من أَنْ يَحْرِصَ المَرْءُ على ما يَسُرُّهُ ، ويَجْتَنِبُ مَا يُؤذِيه ، وعليه ألا يَنْخَدِعُ بِحُلْوِ

(١) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، ٤٩٠/٢ .
(٢) المصدر السابق ، ٢٧٦/٢ .

الكلام، وألا يثق بحَبَائِل الوُدّ المَزْعُومَة البَالِيَة ؛ فليس « لكُلّ أَحَدٍ يُتَبَسَّم ، ولا كُلُّ شَخْصٍ يُكَلَّم ، ولا الجُود مِمَّا يُعَمُّ به ، ولا حُسْن الظَّنّ وطِيب النَّفْس مِمَّا يُعَامَلُ به كُلُّ أَحَد » [١]، ونرى المقابلة بين (كَلامَهُمُ شَهْدٌ) و(فِعْلَهُمْ سُمّ).

صانع المُفَارَقَة : أصدقاء عَلِيّ بْن مُوسَى بْن سَعِيد ، وفِعْل المُفَارَقَة : التناقُض بين القول والفعل ، وضحية المُفَارَقَة : عَلِيّ بْن مُوسَى بْن سَعِيد .

من أصعب الأشياء على النفس أنْ يأتي الضرر مِنْ حَيثُ يُنْتَظَرُ الخَير، وأنْ يَتَحَوَّلَ الصديق عَدُوًّا مُبِينًا ، ضَرَرُهُ لا يَزُولُ ، مثل مَنْ يلجأ إلى شُرْبِ المَاءِ طَلَبًا للنجاة ؛ فيَقِف الشَّرَابُ فِي حَلْقِهِ ، ويُوشك أَنْ يَهْلَكَ ، وهذه مفارقة المفاجأة غير المتوقعة ، يقول **ابن لِيون التُّجِيبِيّ** : (خفيف)

أَعْذَرُ النَّاسِ مَنْ أَتَتْهُ المَضَرَّهْ مِنْ أَخٍ كَانَ يَرْتَجِي مِنْهُ نَصْرَهْ
مِثْلَ مَنْ غَصَّ بِالشَّرَابِ فَكَانَ الـ هُلْكُ فِيمَا رَجَاهُ يَدْفَعُ ضُرَّهْ [٢]

صانع المُفَارَقَة : صديق ابن لِيون التُّجِيبِيّ ، وفِعْلُ المُفَارَقَة : خِذْلان الصديق ، وضَحِيَّةُ المُفَارَقَة : ابن لِيون التُّجِيبِيّ .

وقد كان **للسان الدِّين بن الخَطِيب** (ت٧٧٦هـ) صديقٌ أَعَدَّهُ لِنَوَائِبِ الدهر ، ولم يَجْنِ مِنْ صداقته إلا الأذى وخيبة الأمل ، وآخر أورده منهله العَذْب ؛ فما كان منه إلا أن سَقَاهُ ماءً حَمِيمًا ، وتقوم هذه المُفَارَقَة على مُخَالَفَة ما يَتَوَقَّعه الصديق في الموقف الذي يَمُرُّ به ؛ حيثُ يُبَاغَت بحالة مغايرة تمامًا لِمَا يدور في ذهنه ، ونرى الطباق بين (جِمَام) و(الحَمِيم الآني) ، يقول : (كامل)

وَلَكَمْ أَخٍ لِلخَطْبِ قَدْ أَعْدَدْتُهُ لَمْ تَجْنِ مِنْهُ يَدِي سِوَى الخُطْبَانِ
وَلَكَمْ حَمِيمٍ قَدْ وَرَدْتُ جِمَامَهُ فَشَرِقْتُ مِنْهَا بِالحَمِيمِ الآنِي [٣]

صانع المُفَارَقَة : صديق لسان الدين بن الخطيب ، وفِعْل المُفَارَقَة : المعاملة السيئة ، وضحية المُفَارَقَة : لسان الدين بن الخطيب .

---

(١) المصدر نفسه ، ٣٥٦/٢ .

(٢) ابن لِيُونَ التُّجِيبِيّ : ديوان ابن لِيُونَ التُّجِيبِيّ ، ص ٢١٧ .

(٣) ابن الخطيب : دِيوَان لِسَان الدِّين بْن الخَطِيب السَّلْمَانِي ، تحقيق محمد مفتاح ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م ، ٥٨٧/٢ .

وهذه مفارقة أحداث ، تتحقق بظهور خيبة أمل الشاعر ، وهي مُفَارقَة غَرِيبة ، تَرْسِمُ صورةً للتناقُض ، الذي يدفع إلى السُّخْرِية والتهكُّم ، وقد لجأ الشاعر إلى السخرية البالغة ليلفت النظر إلى الهُوَّة السحيقة التي تفصل بين ما هو واقع ، وما ينبغي أن يكون ، وكأنَّ السُّخرية ضربًا من الاستعلاء على الواقع المرير ومحاولة لتجاوزه ؛ حتى صار الصديق الذي لا يَضُرُّ صَاحِبَهُ وَصُولاً باذلاً .

لقد سارت الأحداث على عكس ما ينبغي ؛ فقد تَوَقَّعَ الشاعرُ (ضحية المُفَارَقَة) مِنْ صديقه المَحَبَّة ، وانتظر منه المؤانسة والمساندة ، وكانت المُفَارَقَة أنه وجد الخِذْلان والخُسْرَان ، والبُغْضَ فِي القُلُوبِ ، وعندئذٍ أدرك حقيقة مُهِمَّة مُفَادَهَا : (حين تنقطع علاقة المنفعة تنقطع الصداقة) ، وكان الشاعرُ يَجْهَلُ هذه الحقيقة ، وكذلك القارئ (المُرَاقِب) .

فالمألوف أَنَّ الذي تجتهد لإرضائه وإسداء النفع له يكون عونًا لك ، لا عليك ، اعترافًا بالجميل ، وإنْ حَدَثَ غير ذلك فتلك مفارقة أحداث ؛ ففي الوقت الذي ظَنَّ فيه الشاعرُ أَنَّ مَنْ وَثِقَ بهم أهلٌ للثقة ، وسيدافعون عنه ، وَجَدَهُم أَوَّلَ المُهَاجِمِينَ ، وكان الضَّحِيَّة (الشاعرُ) في حالة غفلة اجتماعيَّة ، يَتَوَقَّعُ مِن صَدِيقِهِ المعاملة بالمِثْل ؛ فوَجَدَ أمرًا غير متوقع ، وكانت النتيجة التي وصل إليها القارئ (المُرَاقِب) : وصف الصديق بالخيانة ونَقْض الذِّمَام .

إِنَّ مُفَارَقَة الأَحْداث يَتَكَوَّنُ فيها واقعٌ جَدِيد ؛ بحيثُ يصبحُ فيه غير المتوقع متوقعًا ، والمُتَوَقَّع يَصِيرُ غير متوقع ؛ فكيف يَخْدَعُ الصديقُ صَدِيقَهُ ويُفْتَرَضُ أَنْ يَكُونَ حَامِيَهُ ونَاصِرَهُ ؟ ، لقد كان الشاعرُ يَأْمَنُ صَدِيقَهُ ، ولكن خاب توقعه ، وحدث ما لم يكن يرجوه ، ولا شَكَّ في أَنَّ تَتَابُعَ الأحداث ولَّد المُفَارَقَة من خلال تضاد مقدمات الأحداث مع نتائجها ، وفي هذا المنحى يؤدي الحدث عكس ما هو مُتَوَقَّع منه بطريقة فجائية ، غير متوقعة ، على النقيض مِمَّا هُو مُنْتَظر باطمئنان .

المَبْحَثُ الثَّالِثُ : المُفَارَقَة الدِّرَامِيَّةُ (Dramatic Irony) :

ارتبطت المُفَارَقَة الدراميَّة بالمَسْرَح ، لكن هذا لا يعنى عدم وجودها خارج المسرح ، وهى تكون أبلغ أثرًا عندما يعرف المُرَاقِب (الجمهور) ما لا تعرفه الضحية ، وقد أشار ميويك إلى التداخُل بين المُفَارَقَة الدرامية ومفارقة الأحداث [١] ؛ حيثُ يشتركانِ في عناصر : الصراع والحركة والشخوص ، ولكن المُفَارَقَة الدراميَّة أكثر حِدَّة من مفارقة الأحداث ؛ لأنها تقوم على الانقلاب المفاجئ للأحداث ، وتغيُّر سيرها تَغْيِيرًا جِذْرِيًّا بسبب حدث طارئ .

في المُفَارَقَة الدراميَّة نجد شخصيتينِ : الأولى : الدَّعِي (Alazon) ، وهو شخص مُخَادِع ، يَخْدَعُ نَفْسَهُ أو يخدع الآخرين ، ويرفع مِنْ قَدْرِ نَفْسِهِ ، ويَتَخَفَّى وراء أقنعة مُرَاوِغَة ، والثانية : المُتَوَاضِع الزائف (Eiron) ، الذي يَحُطُّ مِنْ قَدْرِ نَفْسِهِ ، بادِّعَاء الغفلة ، وهي شخصيَّة (مُخَادِع ومَخْدُوع) في الوقت نفسه ، وغالبًا ما يكون ضَحِيَّة لادعاءاته [٢] .

وقد تَوَفَّر عُنْصر التَّوَتُّر في المُفَارَقَة الدراميَّة من خلال الشخصية التي تَتَّسِمُ بالغفلة ، وهي الشاعر ، في مُقَابِلِ شخصيَّة الصديق الغادر ، التي تتعارض مع القِيَم السامية ، والأعراف الاجتماعيَّة ، وعندما يَنْكَشِفُ لُؤْمَها ، يَجْتَمِعُ سُلُوكٌ يُفْتَرَضُ الشُّكْر عليه وهو الإكرام ، مع سُلُوكٍ آخر يَتَّسِمُ بالخِسَّة ، ولا تربطه بمنطق الأشياء صِلَة .

والتفكير الدراميّ لا يسير في اتجاه واحد ، ويرى أَنَّ كلَّ فكرة تقابلها فكرة ، وكُلَّ ظَاهِرٍ يستخفي وراءه باطن [٣] .

وقد قدم ميويك وصفًا للمفارقة الدراميَّة يُفِيدُ فِي رَسْمِ الحَبْكَة المأساويَّة ، وعلاقتها بشخصية البطل (ضحية المُفَارَقَة) ، ويتلخص الوصف في أَنَّ

(١) انظر : ميويك : المُفارقَة ، ٤/ ٩١ – ٩٥ ، ١٥٣ .

(٢) انظر : ميويك : المُفَارقَة وصفاتها ، ١٦٦/٤ .

(٣) انظر : عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ؛ قضايا وظواهره الفنية والمعنوية ، دار الفكر العربي ، العربي ، القاهرة ، ط٣ مزيدة ومنقحة ، ١٩٦٦م ، ص ٢٧٩ .

الضحية تَتَطَلَّع إلى تَحْقِيق آمال ، أو تَفْزَعُ من بعض الأمور ، وتَتَّخِذ خُطُوَات لتتجنَّب شَرًّا مُتَوَقَّعا ، أو تُفِيد مِنْ خَيرٍ مُنْتَظَر ، لكنَّ أفعالَها لا تؤدي إلا إلى سُقُوط مَحْتُوم (١) .

ومن أمثلة المُفَارَقَة الدرامية قول **ابن زيدون** (ت٤٦٣هـ) لصديقه أبي حفص بن بُرْد الأصغر (ت نحو٤٥٠هـ) : (مجزوء الرمل)

مَا تَرَى فِي مَعْشَرٍ حَا لُوا عَنِ العَهْدِ وَخَاسُوا ؟
وَرَأَونِي سَامِرِيًّا يُتَّقَى مِنْهُ المِسَاسُ
أَذْؤُبٌ هَامَتْ بِلَحْمِي فَانْتِهَاشٌ وَانْتِهَاسُ
كُلُّهُمْ يَسْأَلُ عَنْ حَا لِي ، وَلِلذِّئْبِ اعْتِسَاسُ (٢)

لقد تَغَيَّرُ أصدقاؤه ، وخالفوا عهدهم ، وتَعَامَلُوا معه – بعد سجنه – كأنه سامريّ ، يتجنبه الناس ، وصاروا ذئابًا تحوم حوله استعدادًا لافتراسه ؛ ومن أجل ذلك تتسلَّل خَلْسَة للسؤال عن أحواله ، وتلك مُفَارَقَة دراميَّة ؛ فمَنْ يَتَوَقَّع الشاعرُ منه السؤال عن أحواله للاطمئنان ، يجد عنده الخيانة في أشبع صورها، والبغضاء المُسْتَتِرَة ، وقد تَوَفَّرَ في هذه المُفَارَقَة عنصر التوتُّر ، والحركة (هامت – انتهاش – انتهاس – اعتساس) ، التي تُظْهِرُ شِدَّة الصراع .

صانع المُفَارَقَة : أبو الحَزْم بن جَهْور (ت٤٣٥هـ) وحاشيته ، وفِعْل المُفَارَقَة : خيانة العهد ، وضحية المُفَارَقَة : ابن زيدون .

وجَحَدَ ابنُ عَمَّار (ت٤٧٧هـ) إحسان **المُعْتَصِم بْن صُمَادِح** (ت٤٨٤هـ) حَاكِم المَرِيَّة (Almeria) ؛ مِمَّا رَسَّخَ اعتقادًا في نفس ابن صُمَادِح أنه لا يوجد خِلٌّ يستطيع أنْ يأمن إليه ، ويطمئن إلى صُحْبَتِهِ ؛ فقال : (طويل)

وَزَهَّدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ وَطُولُ اخْتِبَارِي صَاحِبًا بَعْدَ صَاحِبِ
فَلَمْ تُرِنِي الأَيَّامُ خِلاًّ تَسُرُّنِي مَبَادِيهِ إِلاَّ سَاءَنِي فِي العَوَاقِبِ

(١) انظر : ميويك : المُفَارقَة ، ٤/ ٩٤ .

(٢) ابن زيدون : ديوان ابن زيدون ورسائله ، شرح وتحقيق علي عبد العظيم ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م ، ص٢٧٥– ٢٧٦ .

وَلا قُلْتُ أَرْجُوهُ لِدَفْعِ مُلِمَّةٍ مِنَ الدَّهْرِ إِلاَّ كَانَ إِحْدَى المَصَائِبِ ! (١)

نرى المُقَابَلَة بين (تَسُرُّنِي مَبَادِيهِ) و(سَاءَنِي فِي العَوَاقِبِ) ، وتتجلى المُفَارَقَة في انقلاب الحال ؛ فصديق الأمس ، يَنْقَلِبُ عَدُوًّا ، ومَنْ كَانَ يَحْتَمِي بِهِ ، صار يَفْضَحه ويَخْذُلُه .

صانع المُفَارَقَة : ابن عَمَّار ، وفِعْل المُفَارَقَة : خِدَاع الصديق ، وضحية المُفَارَقَة : المُعْتَصِم بْن صُمَادِح .

وعندما تَجَمَّعَ أصدقاءُ **السُّمَيسِر** (ت بعد ٤٨٨هـ) للفتك به ، رَدَّ اللهُ كيدَهم في نُحُورهم ، واكتشف زيفهم وخداعهم ، وتَوَلَّدَت المُفَارَقَة مِنْ رجوعهم إليه – بعد ذلك – بوصفهم إخوانَ الصفاء ؛ فمثلهم كَمِثْلِ العَقَارِبِ ، عندما تُصْبِحُ جَرَادًا ، وهذه مُفَارَقَة دراميَّة اجتمع فيها العنصر الكوميدي مع العنصر المأساوي ، يقول : (وافر)

أَرَادُونِي بِجَمْعِهِمُ فَرُدُّوا عَلَى الأَعْقَابِ قَدْ نَكَصُوا فُرَادَى

وَعَادُوا بَعْدَ ذَا إِخْوَانَ صِدْقٍ كَبَعْضِ عَقَارِبٍ عَادَتْ جَرَادَا (٢)

صانع المُفَارَقَة : أصدقاء السُّمَيسِر ، وفعل المُفَارَقَة : خِدَاع الصديق ، وضحية المُفَارَقَة : السُّمَيسِر .

ويقول **أبو الوليد بن حَزْم** : (كامل)

وَإِذَا الزَّمَانُ رَمَى إِلَيكَ مُسَالِمًا وَأَمِنْتَهُ ؛ فَاحْذَرْ مِنَ الإِخْوَانِ

وَسَجِيَّتِي مَا قَدْ عَلِمْتَ ، وَرُبَّمَا صَدِئَ الحُسَامُ مِنَ النَّجِيعِ القَانِي (٣)

إِنْ سَالَمَ الزَّمَانُ ؛ فَاحْذَرْ مِنَ الإِخْوَانِ ، وقد كُنَّا نَتَوَقَّعُ أَنْ يَقُولَ فَاحْذَرْ مِنَ الأَعْدَاءِ ؛ فَإِذَا بِهِ يُحَذِّرُ مِنَ الأَصْدِقَاءِ ، ويُؤَكِّدُ صِدْقَ رَأْيِهِ بالسيف الأبيض

(١) ابن سَعِيد : المُغْرِب فِي حُلَى المَغْرِب ، حَقَّقَهُ وعَلَّقَ عليه شوقي ضيف ، سلسلة ذخائر العرب رقم(١٠) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٩٣م ، ١٩٧/٢ .

(٢) السُّمَيسِر : ديوان السميسر ، ضمن كتاب (شعراء أندلسيون منسيون) ، فوزي عيسى ، من تراثنا الشعري (٩) ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، الكويت ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ط١٠ ، ٢٠٠٩م ، ص ٢٦٤ .

(٣) ابن بَسَّام : الذَّخِيرَة ، ٦١٣/٢/٢ .

الناصع الذي يُصِيبُهُ الصَّدَأُ من النجيع القاني عندما يلتصق به ، كذلك صديقُ السُّوْءِ يُعْدِي صَاحِبَهُ بسُوء طَبْعِهِ ، وهذه مفارقة دراميَّة ، انقلب فيها الحال ؛ فصار الزمانُ مُسَالِمًا ، والصديقُ مُبَارِزًا ، وجاءت المُفَارَقَة هنا من كَسْر التوقُّع.

صانع المُفَارَقَة : أصدقاء أبي الوليد بن حَزْم ، وفِعْل المُفَارَقَة : خيانة الصديق ، وضحية المُفَارَقَة : أبو الوليد بن حَزْم .

ويقول **أَبُو مُحَمَّد عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَبْدَرِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ مَوْجوَال** (ت٥٦٦هـ) : (الكامل)

مَنْ لِي بِمَنْ يَثِقُ الفُؤَادُ بِوُدِّهِ وَإِذَا تَأَخَّرَ لَمْ يَزُغْ عَنْ عَهْدِهِ
يَا بُؤْسَ نَفْسِي مِنْ أَخٍ لِي بَاذِلٍ حُسْنَ الوَفَاءِ بِقُرْبِهِ لا بُعْدِهِ
يَنْوِي الصَّفَاءَ بِبَطْنِهِ لا خَلْقِهِ وَيُدِيرُ صَابًا فِي حَلاوَةِ شَهْدِهِ
فَلِسَانُهُ يُبْدِي جَوَاهِرَ عِقْدِهِ وَجَنَانُهُ تَغْلِي مَرَاجِلُ حِقْدِهِ [١]

تَتَوَلَّدُ المُفَارَقَةُ مِنْ كَلامَ الصديق ، الذي يُشْبِهُ الشَّهْدَ حَلاوَةً ، وأفعاله ، التي تَشْهَدُ على كُرْهِهِ الشَّديد ، ومن النادر أنْ نَجِدَ صديقًا ظاهره كباطنه ، لقد تَعَلَّمَ دَرْسًا فِي مصادقة الإخوان ؛ وأيقن أنَّ الباطن – في كثيرٍ من الأحوال – يُخَالِفَ الظاهر ، ولا تُعْرَفُ الإِخْوَانُ إلا عِنْدَ النَّوَائِبِ ، وما أَعْجَبَ هَذَا الزَّمَان ؛ حيثُ صار « الحُرُّ حَائِر ، بَينَ أَخْوَنِ إِخْوَان ... إِنْ وَصَلَهُمْ صَرَمُوه ، أَو سَأَلَهُمْ حَرَمُوه ، وَإِنْ أَجَابَ بِالصَّوَابِ ، قَالُوا : أَخْطَأَ فِي الجَوَابِ » [٢] .

ونرى الطباق بين (القُرْب) و(البُعْد) ، والمقابلة بين (لِسَانُهُ يُبْدِي جَوَاهِرَ عِقْدِهِ) و(جَنَانُهُ تَغْلِي مَرَاجِلُ حِقْدِهِ) .

صانع المُفَارَقَة : صديق ابْن مَوْجوَال ، وفِعْل المُفَارَقَة : خِدَاع الصديق ، وضحية المُفَارَقَة : ابْن مَوْجوَال .

---

(١) ابن الأَبَّار : المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٨م ، ص ٢٣٨ .

(٢) ابن بَسَّام : الذَّخِيرَة ، ٤/١/٢٥٠ .

ويقول **أبو عَامر بن الحِمَارة** (ت٥٧٠هـ) : (الطويل)

وَلِي صَاحِبٌ أَحْنُو عَلَيهِ ، وَإِنَّهُ لَيُوجِعَنِي حِينًا فَلا أَتَوَجَّعُ
أُقِيمُ مَكَانِي مَا جَفَانِي ، وَرُبَّمَا يُسَائِلُنِي الرُّجْعَى فَلا أَتَمَنَّعُ
كَأَنِّي فِي كَفَّيهِ غُصْنُ أَرَاكَةٍ تَمِيلُ عَلَى حُكْمِ النَّسِيمِ وَتَرْجِعُ (١)

يُعَامِلُ الشاعرُ صَدِيقَهُ بالرِّفْق والحُنُوّ ؛ فلا يجد منهُ إلا الألم والإيذاء والجفاء ، الذي يَدْفَعُهُ إلى الابتعاد ريثما يهدأ ؛ ثُمَّ يَطْلُبُ منه صديقه العودة إلى سابق المودة بينهما ؛ فيجيب مَطْلَبَهُ مُرَحِّبًا ؛ وكأنه – مِنْ فَرْطِ حُبِّهِ – غُصْنٌ يَتَأَرْجَحُ في يدي صديقه كيفما شاء ، يَمِينًا أو يَسَارًا ، ويا لها مِنْ مُفَارَقَة دراميَّة مُحَيِّرة للعَقْل ؛ إذ كيف يستسيغُ المرءُ أَنْ يَكُونَ جَزَاءَ العُنْفِ الرِّقَّة ، والهَجْر الوصال ، والعِصْيَان الطاعة ! ؛ فإنَّ مِنَ الصَّدَاقَةِ ما يكونُ ضَرُّه أَقْرَبَ مِنْ نَفْعِهِ ، وقد تَوَفَّرَ في هذه المُفَارَقَة عنصر التوتُّر ، وغرابة الموقف ، والصراع بين الشاعر الغافل ، وصديقه المُرَاوِغ ، الذي يستغله .

صانع المُفَارَقَة : صديق أبي عَامر بن الحِمَارة ، وفِعْل المُفَارَقَة : استغلال الصديق ، وضحية المُفَارَقَة : أبو عَامر بن الحِمَارة .

ويقول **ابن جُبَير** : (خفيف)

لِي صَدِيقٌ خَسِرْتُ فِيهِ وِدَادِي حِينَ صَارَتْ سَلامَتِي مِنْهُ رِبْحَا
حَسَنُ القَولِ سَيِّئُ الفِعْلِ كَالجَزْ زَارِ سَمَّى ، وَأَتْبَعَ القَولَ ذَبْحَا (٢)

له صديقٌ قريب أُضْطُرَّ إلى أَنْ يَخْسَرَ وِدَادَهُ ليَنْجُو مِنْ شَرِّهِ ؛ وكانت المُفَارَقَة في كَونَهُ يَلْقَاهُ دَائِمًا بِوَجْهٍ بَاسِم ، وَأَقْوَالٍ طَيِّبَة ، ولكنه يُتْبِعُ ذَلِكَ بِالأَفْعَالِ السَّيِّئَة ؛ وكأنه الجَزَّارُ الذي يُسَمِّي بالله ، ثُمَّ يَحُدُّ شَفْرَتَهُ ، ويَذْبَحُ ذَبِيحَتَهُ ، وَهو يَضْحَكُ ، ويا لها من مفارقة عجيبة ، ونرى الطباق بين (الخُسْرَان) و(الرِّبْح) ، والمقابلة بين (حَسَن القَول) و(سَيِّئ الفِعْل) .

(١) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، ٥٩٧/٣ .
(٢) المصدر السابق ، ٤٨٨/٢ – ٤٨٩ .

صانع المُفَارَقَة : صديق ابن جُبَير ، وفعل المُفَارَقَة : التناقُض بين القول والفعل ، وضحية المُفَارَقَة : ابن جُبَير .

ويقول **أبو حَيان الأندلسي** (ت٧٤٥هـ) : (خفيف)

أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ غَنِيتُ بِرُوحِيعَنْ سِوَاهَا فَلَسْتُ أَصْحَبُ شَخْصَا
قَدْ أَرَانِي وَحْدِي أَزِيدُ كَمَالاً وَإِذَا مَا صَحِبْتُكُمْ زِدْتُ نَقْصَا (١)

يؤكدُ الشاعرُ أنه قرر الانفراد ، ووَجَدَ سَعَادَتَهُ في الوَحْدَة ؛ لذلك لن يُصَاحِبَ أحدًا ، ويذكر أسباب ذلك فيتحدث عن الوَحْدَة ، ويَتَوَقَّعُ القارئُ أَنْ يُحَدِّثَهُ عن الوحشة والخوف ؛ فيجده يكسر أُفُق التوقُّع ، ويقول إنه يصير كاملاً بوحدته ، ثُمَّ يتحدث عن صُحْبَةِ الناس ؛ فيَتَوَقَّع القارئُ منه وصف الأُنْس واكتساب المهارات ؛ فيجده يُخَالِفُ المُنْتَظَر ، ويُقَرِّرُ أَنَّ قَدْرَهُ يَنْقُصُ بِمُجَالَسَةِ السُّفَهَاءِ ؛ فإنَّ صُحْبَةَ صَدِيقِ السُّوءِ تُنْقِصُ مِنْ قَدْرِه ، ووَحْدَتُهُ تُكْسِبُهُ كَمَالاً ، ونرى الطباق بين (الكمال) و(النقص) .

صانع المُفَارَقَة : أصدقاء أبي حَيَّان الأندلسي ، وفِعْلُ المُفَارَقَة : إنقاص قدر الصديق ، وضحية المُفَارَقَة : أبو حَيَّان الأندلسي .

وقد عَانَى **لسان الدين بن الخطيب** من غَدْرِ الأصدقاءِ وخيانتهم في أدوار حياته ؛ مِمَّا أَودَى بِهِ إلى حَتْفِهِ ، وها هو يَتعَجَّب مِنْ تَنَكُّرِ إِخْوَانه لَهُ ، يقول : (طويل)

تَلَوَّنَ إِخْوَانِي عَلَيَّ وَقَدْ جَنَتْ عَلَيَّ خُطُوبٌ جَمَّةٌ ذَاتُ أَلْوَانِ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ أَنْ يَتَنَكَّرُوا بِأَنَّ خِوَانِي كَانَ مَجْمَعَ خَوَّانِي
وَكَانَتْ، وَقَدْ حُمَّ القَضَاءُ، صَنَائِعِي عَلَيَّ بِمَا لا أَرْتَضِي شَرَّ أَعْوَانِي (٢)

تَنَكَّرَ له الإخوانُ ، وكانت المُفَارَقَةُ أَنْ اكتشفَ أَنَّ مَنْ يُحِيطونَ بِهِ مَا هم إلا أعداء ، ووَجَدَ لِمَا فَعَلَهُ مَعَهُمْ من صنائع المعروف شَرَّ جَزَاءٍ مِنَ الغَدْرِ

(١) أبو حَيَّان الأندلسيّ : ديوان أبي حَيَّان الأندلسيّ ، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط١ ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م ، ص ١٨٩ .
(٢) ابن الخطيب : دِيوَان لِسَان الدِّين بْن الخَطِيب السَّلْمَانِي ، ٥٩٣/٢ .

والخِيَانَة ، لقد تَغَيَّرَ إِخْوَانُهُ ، وانقلبوا عليه ، وأذاقوه صُنُوفَ العَذَابِ ؛ فهؤلاء الأصدقاء (صنائعه) هم – في حقيقة الأمر – (شر الأعوان) ؛ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يُعَاوِنْكَ فِي الشِّدَّة ؛ فَهُوَ العَدُوُّ فَاحْذَرْهُ .

صانع المُفَارَقَة : أصدقاء لسان الدين بن الخطيب ، وفِعْلُ المُفَارَقَة : تنكُّر الصديق ، وضحية المُفَارَقَة : لسان الدين بن الخطيب .

ويقول **أبو عبد الله الشَّرَّان** (ت بعد ٨٣٧هـ) في التبرُّم من صاحبٍ له : (السريع)

وَصَاحِبٍ لِي مُبْرِمٍ مَنْ رَأَىصَبْرِي عَلَى صِحَّتِهِ اسْتَغْرَبَا
قَالَ : أَنَا كَالعُودِ إِنْ شِئْتَهُأَورَقَ وَانْشَقَّ أَو أَطْرَبَا
فَقُلْتُ : بَلْ كَالعُودِ مُحْتَاجٌ أَنْيُقْشَرَ أَو يُحْرَقَ أَو يُضْرَبَا (١)

إنَّ له صاحبٌ ثقيل ، يتعجَّبُ الناسُ عندما يرون صبره عليه ؛ فهو يَتَّسِمُ بالمُشَاكَسَة ، ويقول عن نفسه إنه كَعُود الشَّجَر المُورِق ، أو آلة مُوسِيقيَّة ذات أوتار يُضْرَب عليها بريشة بُغْيَةَ الإِطْرَاب ؛ فيَرُدُّ عليه الشاعر بأنه عُودٌ فِعْلاً ، ولكن عُودٌ يستحق أن يُقَشَّرَ فَيُؤكَل ، أو يُحْرَق لِلتَّخَلُّص مِنْ أَذَاه ، أو يُضْرَب مِنْ بَابِ التَّهْذِيب ، وتقوم هذه المُفَارَقَة الدراميَّة على السخرية البالغة.

صانع المُفَارَقَة : صديق أبي عبد الله الشَّرَّان ، وفِعْلُ المُفَارَقَة : مشاكسة الصديق ، وضَحِيَّة المُفَارَقَة : أبو عبد الله الشَّرَّان .

تنشأ المُفَارَقَة الدراميَّة عن مواقف غريبة تؤدي إلى قلب الأحداث ، أو الأدوار ، أو المفاهيم ، ويصطدم القَارِئُ (المُرَاقِب) وهو يتابع الجمل التي يتلقاها بعناصر غير متوقعة ، تفتح أمامه آفاقًا واسعة للتأويل ؛ ليصل إلى مقصد الشاعر ، ويرسم حدود المُتَوَقَّع واللامُتَوَقَّع من خلال معرفته وخبرته .

(١) ابن عاصم الغرناطي : جنة الرضا في التسليم لِمَا قَدَّرَ اللهُ وقضى ، تحقيق صلاح جرار ، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ١٩٨٩م ، ٣/٧٠ .

المَبْحَثُ الرَّابِعُ : مُفَارَقَةُ خِدَاعِ النَّفْسِ (Irony of Self-Betrayal) :

يشير ميوك إلى أن هذا النوع من المُفَارَقَة تَجَاهَلَهُ المُتَخَصِّصُونَ في المُفَارَقَة ؛ لصعوبة التمييز بينه وبين المُفَارَقَة الدراميَّة ، ويَتَمَثَّلُ هذا النوع من المُفَارَقَة حينما يكتشف شَخْصٌ ما بشكل – غير واعٍ – جهله أو ضعفه أو خطأه أو حماقته بما يقول أو بما يفعل وليس بما يحدث له [١] .

والحقيقة أن مفارقة خداع النفس تبدأ من رؤية غير صحيحة تَتَوَهَّمها الذات عن الصديق المُرَاوِغ ، ويَرْتَبِطُ حُدُوثُها – غالبًا – بالحُصُول على معرفة تساعد على اكتشاف زيفٍ كان الشاعرُ يَجْهَله في صديقه ، الذي يُظْهِرُ غير ما يُبْطِنُ .

لقد اختلفت طبيعة المخادعة هنا ، وتَوَجَّهت إلى النفس ، بَدَلاً مِنْ تَوَجُّهِهَا إلى الآخر ؛ لذا تَمِيلُ هذه المفارقة إِلَى أَنْ تَكُونَ مَأْسَاوِيَّة .

ومفهوم الغفلة المُطْمَئِنَّة يَخُصُّ الشاعرُ صانع المُفَارَقَة (الضَّحِيَّةُ) ، الذي يمتاز بالبراءة والثقة بالآخرين ، ويَتَّسِمُ بالحماقة ؛ فيقع ضحية الزيف والخداع ؛ فقد أَصَرَّ على وُجُود قِيَم أخلاقية سامية في صديقه ، ووَثِقَ به ثِقَةٍ عمياء ، واتَّضح له أنه لا يَتَحَلَّى بِالخُلُقِ القويم ؛ فكأن الشاعرُ في غفلة عن حقائق الصديق والواقع .

وقع الشاعر هنا ضحية تصديقه توهُّمه بصفاء سريرة هذا الصديق ؛ فهو يحتاج إلى مُؤَثِّر خارجيّ ، يُنَبِّهُهُ إلى الحقيقة ، وهي ادعاء صديقه المودَّة ، ولم يكتشفْ عواقب جهله إلا بعد فوات الأوان ، عندما رمت المُفَارَقَة به إلى لحظة الصفر المعرفيَّة .

إِنَّ الضحِيَّة في مُفَارَقَةِ خِدَاع النَّفْسِ « غير واعٍ أَنَّ حقيقةَ الأُمُورِ تختلف – تمامًا – عَمَّا يحسبها عليه ... وأن ما يجري على النقيض مِمَّا هُو مُنْتَظَر باطمئنان ... إنه يغلب أن يكون أعمى في كبرياء ، وواثقا في حُمْق » [٢] .

(1) Muecke ,D, C : The compass of Irony, P. 100 .

(٢) انظر : ميويك : المُفَارقَة ، ٨٧/٤ .

ومن أمثلة مفارقة خداع الناس قول **ابن عَبْد رَبِّه** : (طويل)

طَلَبْتُ بِكَ التَّكْثِيرَ فَازْدَدْتُ قِلَّةً وَقَدْ يَخْسَرُ الإِنْسَانُ فِي طَلَبِ الرِّبْحِ (١)

طَلَبَ الشاعرُ مِنْ صديقه زيادة العطاء ، وكانت المُفَارَقَة نَقْص العطاء، وعندئذٍ تكشَّفَتْ له الحقيقة ، وعَلِمَ أنه خَدَعَ نَفْسَهُ ؛ فإنَّ مَنْ يَطْلُبُ الرِّبْحَ مِنْ خَسِيسٍ لَئِيم يَخْسَر ؛ فلا بُدَّ مِنْ تَخَيُّرِ الكِرَامِ لِيَقْصُدَهُمْ فِي الحَوَائِجِ ؛ فَإِنَّ قَاصِدَ الكَرِيمِ لا يَخِيبُ ، ونرى الطباق بين (التكثير) و(قلة) ، و(الخُسْرَان) و(الرِّبْح) .

وقول **محمود بن عليّ بن أبي الرجال** : (وافر)

وَإِخْوَانٍ تَخِذْتُهُمُ دُرُوعًا فَكَانُوهَا ، وَلَكِنْ لِلأَعَادِي

حَسِبْتُهُمُ سِهَامًا صَائِبَاتٍ فَكَانُوهَا ، وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي

وَقَالُوا : قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبٌ لَقَدْ صَدَقُوا ، وَلَكِنْ مِنْ وِدَادِي

وَقَالُوا : قَدْ سَعَينَا كُلَّ مَسْعَىفَقُلْتُ : نَعَمْ ، وَلَكِنْ فِي فَسَادِ (٢)

تَعَرَّضَ الشاعرُ لنكبة ، كَشَفَتْ لَهُ زَيفَ أصدقائه ، الذين غَدَرُوا به ، وفَرِحُوا لِمُصَابِهِ ، وسَعَوا – كُلَّ السَّعْيِ – لإيذائه ، وخالفوا توقعاته ، وأعطوه درسًا لن ينساه ؛ فقد انتظر منهم أن يُقِيلوا عَثْرَتَهُ ، ويُوَاسُوه فِي مُصِيبَتِهِ ؛ فوجد الشماتة الصريحة ، وعندئذٍ تأكد أنهم « يَدَّعُونَ الصَّداقة ، ويَنْتَحِلُونَ النَّصِيحة، وهم أَعْدَاءٌ في مُسُوك الأصدقاء » (٣) ؛ لأنَّ الصديقَ « يُرَاعِى الأُخُوَّة بِظَهْرِ الغَيبِ ، لا بِرَأْيِ العَينِ » (٤) .

ومن عَجَبٍ أنه اتَّخَذَهُمْ دروعًا للوقاية مِنْ غَدْرِ الزمان ؛ فصاروا أعوانًا للأعداء ، وعَدَّهُم سِهَامًا تُصِيبُ الهَدَف ؛ وصُدِمَ بأنهم أصابوه في فُؤَادِهِ ، ومِمَّا

---

(١) ابن عبد رَبِّه الأندلسيّ : ديوان ابن عبد ربه ، ص ٥٧ .

(٢) ابن الأَبَّار : إِعْتَاب الكُتَّاب ، حَقَّقَهُ وعَلَّقَ عليه وقَدَّمَ له صالح الأشتر ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ط١ ، ١٣٨٠هـ – ١٩٦١م ، ص ٢١٥ ، وحاشية (١) .

(٣) أبو حيان التوحيدي : الصداقة والصديق ، ص ٩٣ .

(٤) الزَّمَخْشَرِيّ : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق وتعليق ودراسة عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ، شارك في تحقيقه فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م ، ٥٤٤/١ ، حاشية (١) .

يزيد حِدَّة المَوقِف أنهم لم يكتفوا بذلك ، بل تمادوا في غِشِّهِمْ ؛ فكذبوا وقالوا إنهم يحملون قلوبًا صافية ، وتظهر المُفَارَقَة هنا فقد صدقوا فَإِنَّ قُلُوبَهم صافية، أي : خالية من حُبّه ، وفوق ذلك لم يَدَّخِروا جُهْدًا في إفساد أمره ، وبعد ذلك انقلبوا فَرِحِينَ ، لم يبالوا بما قَاسَاهُ مِنَ العَذَابِ ؛ فضَرَبَ كَفًّا بِكَفّ ؛ أَسَفًا على غدر الأصدقاء ، وهي مفارقة ساخرة ، والسخرية غاية من غايات المُفَارَقَة ، ويُؤَيِّدُ ذَلِكَ أَنَّنَا نَجِدُ وراء كل مفارقة سُخْرِية [١] .

وعندما انكشفت المُفَارَقَة عَلِمَ الشاعرُ أنه لا بُدَّ مِنْ أَنْ يُفَرِّقَ بين المظهر (ادعاء الصداقة) وواقع الحال ، الذي تُظْهِرُهُ الأفعال ، وهي أصدق من كلمات اللسان ، وأقوى أثرًا .

ويُؤَكِّدُ **ابن المِلْح** أَنَّ مَنْ يُعْمِلُ عَقْلَهُ في تفسير الأمور ، يَظْهَر له بما لا يَدَعُ مَجَالاً لِلشَّكِّ أَنَّ صَدِيقَ السُّوء يخَدْعُ الآخرين بِزُخْرُفِ القَول ؛ لِتَحْقِيقِ مَآرِبه ، ويَفِرُّ منهم بعد انتهاء مصالحه مُبَاشَرَةً ، وكأنه لم يعرفهم مِنْ قَبْل ، يقول : (طويل)

وَآخَرُ قَدْ فَاجَأْتُهُ الوُدَّ أَوَّلاً بَدِيهَةُ سَاعٍ مَاجِدٍ وَأَدِيبَا
سَرَيتُ لَهُ مِنْ حُسْنِ ظَنِّي بِطَالِعٍ أَمِنْتُ لَهُ حَتَّى المَمَاتِ غُرُوبَا
وَكُنْتُ إِذَا بَلَّ الوِدَادَ بِلَفْظَةٍ أَدَرْتُ عَلَيهِ بِالمَحَبَّةِ كُوبَا
جَفَانِي وَلَكِنِّي أَهُبُّ بِعِشْرَتِي شَمَالاً إِذَا هَبَّ الصَّدِيقُ جَنُوبَا [٢]

لقد قَدَّمَ الوُدَّ خَالِصًا لصديقه ، وأحسن الظَّنَّ به ، وكان عندما يُحَدِّثُهُ صَدِيقُهُ بلفظٍ حَسَن ، يَنْهَالُ عليه بالحديث المستفيض الذي يُعَبِّرُ عَنْ عَمِيقِ حُبِّهِ ، والثِّقَة المُطْلَقَة به ، وعلى الرغم مِنْ ذلك تَحْدُثُ المُفَارَقَةُ ؛ فيُعْرِض عَنْه صديقه ، ويُصَعِّدُ الشاعرُ المُفَارَقَةَ إلى الذِّرْوَة عندما يَرُدُّ على الجفاء بالإبقاء على صديقِهِ ، والتمسُّك به ؛ فإنه يجنح شمالاً ، إذا مَالَ صَدِيقُهُ جِهَةَ الجنوب؛

(١) انظر : سعيد شوقي : بناء المفارقة في المسرحية الشعرية ، ص ٣٢ .
(٢) ابن المِلْح : شعر ابن المِلْح ، ص ١٤٢ .

مُرَاعَاةً لِحُقُوقِ الصَّدَاقة ، ورغبةً في الإبقاء عليها ، وتلك مُفَارَقَة خِدَاع النفس ؛ فَإِنَّ صديق السُّوءِ لا خير فيه ، ولا بُدَّ من تِجنُّبِهِ .

ويُؤَكِّدُ **أبو مُحَمَّد المِصْرِيّ** خداع صديقه ، الذي يسقيه مِنْ يَدِهِ عَسَلاً ، ويُضْمِرِ فِي قَلْبِهِ نَارًا مُشْتَعِلَة ، ويَبْتَسِمُ فِي وَجْهِهِ ، وتَنْطِقُ عَينَاهُ بِكُرْهِهِ ؛ لذا يَنْصَحُ بِمُنَادَمَةِ الكُتُبِ ؛ لأَنَّها تَحْفَظُ الأَسْرَارَ ، وتَنْشُرُ الأخبار ، وهي خيرُ جَلِيسٍ صَالِحٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، ونرى المقابلة بين (مِنْ يَدِهِ أَرْيًا) و(فِي قَلْبِهِ النَّارَا) ، يقول : (بسيط)

قَالُوا:الصَّدِيقُ شَقِيقُ النَّفْسِ ، قُلْتُ لَهُمْإِنَّ الصَّدِيقَ مَعَ العَنْقَاءِ قَدْ طَارَا
اسْمٌ لَعَمْرِي بِلا جِسْمٍ وَلا نَفَسٍ إلاَّ كَلامًا بِزُورِ القَولِ قَدْ سَارَا
فَمَا تَرَى غَيرَ مَنْ يَسْقِيكَ مِنْ يَدِهِ أَرْيًا ، وَفِي قَلْبِهِ قَدْ أَضْمَرَ النَّارَا
فَنَادِمِ الكُتْبَ مَا عُمِّرْتَ إِنَّ لَهَا عِنْدِي وَعَيشِكَ أَسْرَارًا وَأَخْبَارَا [١]

ويصف **أبو الحسن جعفر بن الحاج اللَّورَقِيّ** أحد أصدقائه بالغُمُوض ؛ لأَنَّهُ لا يُظْهِرُ ما في دخيلة نفسه ، ويُخْفِي شُؤُونَه ، ويُسِيءُ الظَّنَّ بصاحبه ؛ إنه صاحبٌ مُتْعِب ، لا يَجْنِي صَاحِبُهُ مِنْ صُحْبَتِهِ إلا الأسى والشقاء : (كامل)

لِي صَاحِبٌ عَمِيَتْ عَليَّ شُؤُونُهُ حَرَكَاتُهُ مَجْهُولَةٌ وَسُكُونُهُ
يَرْتَابُ بِالأَمْرِ الجَلِيِّ تَوَهُّمًا وَإِذَا تَيَقَّنَ نَازَعَتْهُ ظُنُونُهُ
إِنِّي لأَهْوَاهُ عَلَى شَرَقِي بِهِ كَالشَّيبِ تَكْرَهُهُ وَأَنْتَ تَصُونُهُ ! [٢]

يُشَبِّهُ الشَّيبَ بِالصَّاحِبِ الذي يُلازِمُهُ الغُمُوضُ في الحركة والسكون ؛ فَإِنَّ أَفْعَالَهُ مُرِيبَة ، وعلى الرغم مِنْ كُرْهِ أَفْعَالِهِ ؛ فلا بُدَّ مِنْ صِيانته ؛ استبقاءً على حياته ، وتلك مُفَارَقَة خداع النفس ؛ إذ كيف يُحِبُّ مَنْ لا يَجِدُ منه إلا الحَيرَة والعَذَاب ؟

وقد خَالَطَ **أُمَيَّةُ الدانيّ** (ت٥٢٩هـ) أصدقاءه ، ولم يَحْمَدْهُمْ قَطُّ ، لا في سُبُلِ اللَّهْوِ ، ولا في مَجَالِ الجِدِّ ، ولم يجدْ فيهم صديقًا يُخَفِّفُ مِنَ الهُمُومِ ،

(١) ابن بَسَّام : الذَّخِيرَة ، ٣٤٦/١/٤ – ٣٤٧ .
(٢) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، ١٠٨/٢ .

أو يُسَاعِدُ على نوائب الدهر ؛ ووجدَ قومًا مُخَادِعِينَ ، يتظاهرون بالصِّدْق ، وفي حقيقة أمرهم يَعِدُون مواعيد عُرْقُوب ، واعتقد أنه سيصل إلى المنزلة السامية بعِلْمِهِ ؛ فاكتشف أنَّ هذا العِلْمَ أودى به إلى أدنى المَرَاتِب ، وكانت المُفَارَقَة صادمة ؛ عندما اكتشف أنه خَدَعَ نَفْسَهُ مَرَّتَينِ : المرة الأُولَى : عندما بحث عن صديق وفيّ ، ولم يعلم أنه ليس له وجود ، والمرة الثانية : عندما توقَّع أنه سيصل إلى العلياء بِعِلْمِهِ الغزيز ، وكانت المُفَارَقَة عندما وجد أن هذا العِلْم طريقًا إلى الخُمُول ؛ مِمَّا جَعَلَ القَارِئَ (المُرَاقِب) في غاية الدهشة والأسى؛ أسفًا على الضحية ، ونرى الطباق بين (جِدّ) و(لَعِب) ، و(الصِّدْق) و(الكَذِب)، يقول : (بسيط)

مَارَسْتُ دَهْرِي وَجَرَّبْتُ الأَنَامَ فَلَمْ ... أَحْمَدَهُمُ قَطُّ فِي جِدٍّ وَلا لَعِبِ
وَكَمْ تَمَنَّيتُ أَنْ أَلْقَى بِهِ أَحَدًا ... يُسَلِّي مِنَ الهَمِّ أَو يُعْدِي عَلَى النُّوَبِ
فَمَا وَجَدْتُ سِوَى قَومٍ إِذَا صَدَقُوا ... كَانَتْ مَوَاعِيدُهُمْ كَالآلِ فِي الكَذِبِ
وَكَانَ لِي سَبَبٌ قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُنِي ... أَحْظَى بِهِ ، وَإِذَا دَائِي مِنَ السَّبَبِ (١)

ويقول **أبو جعفر بن سعيد** (ت٥٥٩هـ) لِمَنْ يَلُومُهُ على صُحْبَةِ الجَاهِلِ: إنه يطمعُ في مَصْلَحَةٍ تُرْجَى عِنْدُهُ ؛ لذا يُصَاحِبُهُ ، ويَصْبِرُ عَلَى حَمَاقَتِهِ ، كما يحتملُ الإنسانُ مرارةَ الدواء ؛ انتظارًا لِمَا يَرْجُوهُ من الشِّفَاء ، وتلك مُفَارَقَةُ خِدَاع النَّفْس ، وضحية المُفَارَقَة : الشاعر الأحمق ، الذي يخدع نفسه ، ويُوهِمُهَا بِمَنْفَعَةٍ مُرْتَقَبَة من هذا الصديق الجاهل ، وحقيقة الأمر أنه لن يَحْصُدَ مِنْ صُحْبَتِهِ إلا الخِزْي : (طويل)

أَيَا لائِمِي فِي حَمْلِ صُحْبَةِ جَاهِلٍ ... قَطُوبِ المُحَيَّا سَيِّئِ اللَّحْظِ وَالسَّمْعِ
لِمَنْفَعَةٍ تُرْجَى لَدَيهِ صَحِبْتُهُ ... وَإِنْ كَانَ ذَا طَبْعٍ يُخَالِفُهُ طَبْعِي
كَمَا احْتَمَلَ الإِنْسَانُ شُرْبَ مَرَارَةِ الـ ... دَّوَاءِ لِمَا يَرْجُو لَدَيهِ مِنَ النَّفْعِ (٢)

(١) أمية بن أبي الصلت الداني : ديوان الحَكِيم أَبِي الصَّلْت أُمَيَّة بْن عَبْد العَزِيز الدَّانِي ، جمع وتحقيق وتقديم محمد المرزوقي ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٧٤م ، ص ٥٩ .
(٢) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، ١٨٥/٤ .

ومن الغباء البالغ أنْ يُصَدِّقَ المَرْءُ أَنَّ لَهُ صديقًا وفيًّا ، يُفْضِي إليه بسِرِّهِ، ويعينه على الشدائد ، ويساعده على نوائب الدهر ، والحقيقة المؤلمة أنَّ هَذَا الصَّدِيقَ – في حقيقة أمره – عَدُوٌّ مُبِينٌ يُسَرُّ لِحُزْنِهِ ، ويَسْعَى لإيذَائِهِ ، ويَكِيدُ لَهُ ، ويَرْجُو لَهُ السُّوءَ ، يقول **أبو حَيان الأندلسي** (ت٧٤٥هـ) : (طويل)

يَقُولُ غَبِيٌّ : لِي صَدِيقٌ ذَخَرْتُهُ لِخَطْبٍ مُعَيَّنٌ لِي وَلَو بِمَقَالِهِ
وَلَمْ يَعْلَمِ المِسْكِينُ أَنَّ صَدِيقَهُ عَدُوٌّ مُبِينٌ زَائِدٌ فِي نِكَالِهِ (١)

اكتشف أبو حَيَّان الأندلسي حماقته ، وعَرَفَ أَنَّهُ يَخْدَعُ نَفْسَهُ ؛ حيثُ لَمْ يَبْقَ مَنْ تَرْتَجِي النُّصْرَةَ فِي صُحْبَتِه ، أو تُفْشِي إِلَيهِ بِالأَسْرَارِ فَيُؤْنِسُ بِالجَوَابِ الحكيم .

ويُؤَكِّدُ **ابن خاتمة** (ت٧٧٠هـ) تعذُّر الصَّدِيقِ المُوَافِق ؛ وكيف يتصرفُ الإنسانُ عندما يُؤْذِيه صَدِيقَهُ ؛ فهو إنْ عَاتَبَهُ قلاه وهجره ، وأجدر به أَنْ يعتذر له ويواصله ، وإِنْ عَفَا عَنْهُ وتَرَكَ عتابه استمر على الإيذاء مَدَى الدَّهْرِ ؛ فأليق بِهِ أَنْ يَسْتَحِي ويَكُفَّ عن الإيذاء ؛ ومَنْ يَتَحَمَّل الجمع بين الأضداد في نَسَقٍ واحدٍ معًا ؛ ربما يَفُوزُ بالصديق المُسَاعِد عَلَى كُلِّ حَال ، وتلك مفارقة خداع النفس ، يقول : (بسيط)

إِنْ تُعْتِبَ الخِلَّ فِي ذَنْبٍ جَزَاكَ قِلًى أَو تُعْفِهِ يَبْقَ طُولَ الدَّهْرِ يُؤْذِيكَا
فَإِنْ تُطِقْ تَجْمَعَ الضِّدَّيْنِ فِي نَسَقٍ فَرُبَّمَا قَدْ تَرَى خِلاًّ يُوَاتِيكَا (٢)

ويتحدث **ابن الحاج البَلْفِيقِيّ** (ت٧٧١هـ) عن إخوان الخيانة ؛ لذا نَتَوَقَّعُ مِنْهُ أَنْ يَدْعُوَ عليهم ؛ ولكنَّ المُفَارَقَةَ أنه يدعو لهم أن يحفظهم الله ، وذلك لعظيم فضلهم عليه ؛ فقد قَدَّمُوا لَهُ خِدْمَةً سَدِيدَة ؛ حيثُ جعلوه يَنْكُثُ عَهْدَ الوَفَاءِ مَعَهُمْ ، ولولا ذلك لَظَلَّ مُقِيمًا عَلَى العَهْدِ ، حَافِظًا لِلوُدِّ ، يُؤَدِّي الحُقُوقَ

(١) أبو حَيَّان الأندلسيّ : ديوان أبي حَيَّان الأندلسيّ ، ص ٢٩٠ .

(٢) ابن خاتمة : ديوان ابن خاتمة الأنصاري ؛ ورسالة (الفصل العادل بين الرقيب والواشي والعاذل) ، حققه وشرحه وقَدَّمَ له محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط١ ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م ، ص ١٦٠ .

تَارَةً عاجلة ، وأُخْرَى مُؤَجَّلة ، وهذه مُفَارَقَة خِدَاع النفس ، ونرى الطباق بين (النسيئة) و(النقد) ، يقول : (الطويل)

رَعَى اللهُ إِخْوَانَ الخِيَانَةِ إِنَّهُمْ كَفَونَا مَؤُونَاتِ البَقَاءِ عَلَى العَهْدِ

فَلَو قَدْ وَفَوا كُنَّا أُسَارَى حُقُوقَهُمْ نُرَاوِحُ مَا بَينَ النَّسِيئَةِ وَالنَّقْدِ (١)

وتُثِيرُ هذه المُفَارَقَة تعجُّبَ القَارِئِ (المُرَاقِب) مِنْ موقف كِلا الصديقين : الصديق الأول : (الشاعر/ضحية المُفَارَقَة/الغَفْلَة المُطْمَئِنَّة) الذي يُقَدِّمُ الإحسانَ، ويكون جزاؤه خيبة الأمل ، والصديق الآخر (المُتَظَاهِر بِالبَرَاءة) : الذي يُسِيءُ إلى صديقه .

كان الشاعر ضحية لصورة غير صحيحة كونها عن صديقه ، الذي خدعه بِزُخْرِفِ القول ، وبريق الابتسام ، ثم ظهرت الحقيقة ، وانكشف خداعه ، وتتمثل المُفَارَقَة في خداع الشاعرُ نَفْسَهَ ، وتوهُّمه الصِّدْق والنُّبل في هذا المُخَادِع اللئيم ، الذي يُصَاحِبُهُ للمنفعة العاجلة لا غير ، وقد كان لهذه المخادعة أكبر الأثر في سُلُوك الشاعر ونفسيته ؛ حيثُ أَدْرَكَ – بعد فوات الأوان – أنه لا بُدَّ من حُسْنِ اختيار الصديق ، وتَجَنُّب رفيق السُّوء .

(١) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، ٤٨٢/٥ .

المَبْحَثُ الخَامِسُ : مُفَارَقَةُ الوَرْطَةِ (Irony of Dilemma) :

يذهب ميوك إلى أنه يوجد في هذا النوع من المُفَارَقَة مستويان : المستوى الأدنى ، ويُمَثِّلُهُ ضحية المُفَارَقَة ، والمستوى الأعلى ، ويُمَثِّلُهُ صاحب المُفَارَقَة ، وهذانِ المستويانِ يتعارض أحدهما مع الآخر ؛ حيث تأخذ المُفَارَقَة فيه شكل الورطة ، أو التناقض الظاهري أو المنطقيّ (١) .

تتولد مفارقة الورطة من الخطأ في فَهْمِ صَانِعِ المُفَارَقَة (الشاعر) لِمَا يُحِيطُ بِهِ ، ووقوعه في وَرْطَة مُفَاجِئَة لَمْ يَحْتَسِبْهَا ؛ نتيجة سُوء اختياره للصديق، وفَرْط ثِقَتِه التي أودعها في غير مَحَلِّهَا ؛ حيثُ يَجْنِي الشاعرُ على نفسه من حيث لا يدري ؛ فيقع في مفارقة الورطة .

ومن أمثلة مفارقة الورطة قول **ابن عبد ربه** : (مديد)

صَاحِبٌ فِي الحُبِّ مَكْذُوبُ دَمْعُهُ لِلشَّوقِ مَسْكُوبُ

كُلُّ مَا تَطْوِي جَوَانِحُهُ فَهْوَ فِي العَينَينِ مَكْتُوبُ (٢)

لقد وجد الشاعرُ نَفْسَهُ في ورطة حين صادف صاحبًا مُخَادِعًا ، يَسْكُبُ دَمْعَهُ ، ويَدَّعِي أَنَّهُ مِنْ فَرْطِ الشوق إليه ، ولكنَّ لَحْظَهُ يَكْشِفُ ما في باطنه من بُغْضٍ .

وقول **الحَاجِبُ المُصْحَفِيّ** (ت٣٧٢هـ) عن خيانة صديقه المنصور بن أبي عامر (ت٣٩٢هـ) : (طويل)

تَنَدَّمْتُ وَالمَغْرُورُ مَنْ قَدْ تَنَدَّمَا وَهَلْ يَنْفَعُ الإِنْسَانُ أَنْ يَتَنَدَّمَا ؟

غَرَسْتُ قَضِيبًا خِلْتُهُ عُودَ كَرْمَةٍ وَكُنْتُ عَلَيهِ فِي الحَوَادِثِ قَيِّمَا

أُكَرِّمُهُ دَهْرِي فَيَزْدَادُ خِسَّةً وَلَو كَانَ مِنْ عُودٍ كَرِيمٍ تَكَرَّمَا (٣)

---

(1) Muecke ,D, C : The compass of Irony, P. 102 – 103 .

(٢) ابن عبد رَبِّه الأندلسيّ : ديوان ابن عبد ربه ، ص ٢٧ .

(٣) حسين يوسف خريوش : الحاجب المصحفي ؛ حياته وآثاره الأدبية ، حوليات كلية الآداب ، الحولية (١٩) ، الرسالة (١٣٣) ، مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م ، ص ٦١.

النغمة الاستفهامية في البيت الأول تُعْطِي ظِلالاً غَنِيَّة ، مُحَمَّلة بالاستغراب من خلال إبراز مُفَارَقَة بين (أُكَرِّمُهُ دَهْرِي) ، أي استمرار الإكرام حِقْبَة زمنية طويلة ، و(يزداد خِسَّة) ؛ فَهُمَا لا يجتمعانِ إلا على سبيل المُفَارَقَة؛ فقد أخلص الحَاجِبُ المُصْحَفِيُّ الوُدَّ للمنصور بن أبي عامر ، وحَصَدَ النَّدَمَ مِنْ جَرَّاء مُصَاحَبَةِ المُخَادِعِينَ ، لقد حَسِبَهُ عُودًا كَرِيمًا ؛ فَرَعَى صُحْبَتَهُ ، وأحسن إليه ، فما كان منه إلا أن ازداد خِسَّةً وإِسَاءة ؛ لأنه لئيم الأصل ، ونرى الطباق بين (الإِكْرَام) و(الخِسَّة) ؛ مِمَّا يزيد حِدَّة مُفَارَقَة الورطة .

وقولُ **مُحَمَّد بْن خَطَّاب النَّحْوِيّ** (ت قبل ٤٠٠هـ) : (الوافر)

إِذَا حَصَّلْتُ إِخْوَانِي جَمِيعًا وَجَدْتُهُمُ كَأَضْغَاثِ المَنَامِ

فَمَنْ أَعْدَدْتُهُ لِمُهِمِّ أَمْرِي كَإِخْوَانِ التَّحِيَّةِ وَالسَّلامِ (١)

أحصى الشاعرُ جَمِيعَ أَصْدَقَائِهِ وعَدَّهُمْ ؛ لِيُقَدِّمُوا لَهُ نَفْعًا يَرْجُوهُ ؛ فَفَرُّوا مِنْ أَمَامِهِ ؛ كرُؤْيَا النائمِ ، التي تُفَارِقُهُ عند الاستيقاظ ، ومَنْ طَلَبَ مِنْهُ مُشَارَكَتُهُ فيما يَهُمُّه ؛ اكتفى بإلقاء التَّحِيَّة ؛ وذكر انشغاله الشديد ، وسُرْعَان ما ترك المكان ؛ فوقف الشاعر مُنْدَهِشًا من الموقف غير المتوقع ! ، وغيرُ خَافٍ أَنَّ « غَبْن الصَّدِيقَ نَذَالَةٌ » (٢) .

إنها مفارقة ورطة ؛ فهو لا يجد له صديق بعدما اختلط الصديق بالعدو، وصار من العسير التفريق بينهما .

وقول **ابن دَرَّاج القَسْطَلِيّ** (ت٤٢١هـ) : (كامل)

كَمْ قَدْ سَعِدْتُ بِمَا تَمَنَّى حَاسِدِي قَدَرًا ، وَخِبْتُ بِمَا تَخَيَّرَ صَاحِبِي (٣)

---

(١) ابن الكِتَّانيّ الطَّبِيب : التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٦م ، ص ٢٨٥ .

(٢) الميداني : مجمع الأمثال ، تحقيق مُحَمَّد مُحِيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السُّنَّة المُحَمَّدِيَّة ، القاهرة ، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م ، ٦٧/٢ .

(٣) ابن دَرَّاج القسطليّ : ديوان ابن دَرَّاج القسطليّ ، حققه وعلق عليه وقدم له محمود علي مكي ، منشورات المكتب الإسلامي ، دمشق ، ط١ ، ١٣٨١هـ – ١٩٦١م ، ص ١١١ .

من المفارقات أنَّ حَاسِدَهُ أراد ضَرَرَهُ مَرَّاتٍ كثيرة ؛ فخَابَ مَسْعَاهُ ، وازداد الشاعرُ رِفْعَةً قَدَرًا ، أما صديقه المُسَاعِد ؛ فَكَثِيرًا ما زَعَمَ أنه يختار له ما يراه مناسبًا ؛ وعندئذٍ يَبُوءُ الشاعرُ بالخُسْرَانِ لاتباع نصيحته ، وتكون مفارقة الورطة في مجيء النَّفْع مِنَ العَدُوِّ الحَاسِدِ ، والأَذَى مِنَ الصديق الناصح ! ، ونرى الطباق بين (سَعِدْتُ) و(خِبْتُ) ، و(حَاسِدِي) و(صَاحِبِي) .

إنَّ غَدْرَ الصديق أَشَدُّ مِنْ غَدْرِ الزَّمَانِ ؛ فَهُمْ – في حقيقة الأمر – « إِخْوَانٌ أَخْوَنُ مِنَ السَّرَابِ اللَّعِينِ ، وَمِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ لِلحُسَينِ ، وَأَشَدُّ مِنْ طَالِبِ دَين ، عَلَى صِفْرِ اليَدَينِ ، لَيسَ فِيهِمْ نَفْعٌ وَلا دَفْع ، إِنْ اسْتَنْصَرْتَهُمْ خَذَلُوك ، وَإِنْ سُئِلُوا إِسْلامَكَ بَذَلُوك » [١] ، يقول **ابنِ رَشِيق القَيرَوَانِيّ** (ت٤٥٦هـ) : (مجتث)

لَو قِيلَ لِي خُذْ أَمَانًا مِنْ حَادِثَاتِ الزَّمَانِ
لَمَا أَخَذْتُ أَمَانًا إلاَّ مِنَ الإِخْوانِ [٢]

إنَّ المَرْءَ لَيَبْلُغَ مِنْهُ العُجْبَ مَبْلَغًا كبيرًا حين يَعْلَمُ أَنَّ الشَّاعِرَ يَحْذَرُ صَدِيقَهُ ، ويأمن حوادث الزمان ، وتلك ورطة فكيف يكون التحفُّظ من الصديق، والمفترض أنَّ الفردَ يَأْنَسُ بِصديقه ، ويَسْعَدُ مَعَهُ ، ويُفْضِي إِلَيه بِسِرِّهِ، ويَثِقُ بِهِ ! .

ويقول أيضًا : (مجزوء الكامل)

اخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَنْ تُعَا دِي كَاخْتِيَارِكَ مَنْ تُصَادِقْ
إِنَّ العَدُوَّ أَخُو الصَّدِيـ ـقِ وَإِنْ تَخَالَفَتِ الطَّرَائِقْ [٣]

يجعل الصديقُ أَشَدَّ قُدْرَةٍ على الإيذاء من العَدُوِّ ؛ فإنَّ لِكُلٍّ مِنْهُمَا طريقة من طرائق السلوك يَسْلُكُهَا مَعَ الشَّاعِرِ ؛ حيثُ يُظْهِرُ العَدُوُّ وَجْهَهُ الحقيقيّ ، ويُجَاهِرُ بالعَدَاوَةِ ، أمَّا الصديقُ فَإِنَّهُ يُخْفِي وَجْهَهُ الحَقيقيّ ، ويَتَظَاهَرُ بِالمَوَدَّةِ ؛

(١) ابن بَسَّام : الذَّخِيرَة ، ١٩٣/١/٤ .
(٢) ابن رشيق القيرواني : ديوان ابن رَشِيق القَيرَوَانِيّ ، ص ٢١٥ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٣٠ .

فقد ساوى بين (الصديق) ، و(العدو) ، وتلك مفارقة الورطة ؛ لذا انطلق لسانه يقول بعدما ذاق ويلات الأصدقاء : (جَزَى اللهُ خَيرًا كُلَّ مَنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ) .

وعلى الرغم من أنَّ **ابن حَزْم الأندلسيّ** له كَثِير من الأصدقاء ، الذين يزعمون أنهم أوفياء ؛ فإنه عندما خانته الدنيا نَادَاهُمْ ؛ فَلَمْ يَجِدْ جَوَابًا ، وظَلَّ وَحِيدًا حَزِينًا فِي نَكْبَتِهِ ؛ فأيقن أنَّ الصديقَ لا يفي عندما يجور الزمان ، وتلك مُفَارَقَة الورطة ، يقول : (بسيط)

وَكُلُّ مَنْ كَانَ فِي دُنْيَايَ يَصْحَبُنِينَادَيتُهُ حِينَ خَانَتْنِي فَلَمْ يُجِبِ [1]

ويُؤَكِّدُ **أبو عبد الله بن شَرَف القَيرَوَانِيّ** (ت٤٦٠هـ) أَنَّ أصدقاءه خائنون؛ حَتَّى إنَّه أعيته الوسائل للحصول على صديقٍ ماجد ؛ فَلَمْ يَجِدْ ، ومفارقة الورطة أنهم انقسموا قِسْمَينِ : إمَّا كَارِهٌ ليس له رغبة في صداقته ؛ فَانْصَرَفَ الشاعرُ عنه ، وأمَّا مُنَافِقٌ له وَجْهَانِ ، ظاهره مُحِبّ ، وباطنه مُبْغِض؛ فزَهِدَ الشاعرُ فِيهِ ، وعَلِمَ أَنَّ الرَّاحَةَ الكُبْرَى فِي الوَحْدَة ، ونرى الطباق بين (الخُوَّان) و(الإِخْوَان) ، يقول : (كامل)

مَا هَذِهِ الأَلِفُ التِي قَدْ زِدْتُمُ فَخَلَطْتُمُ الخُوَّانَ بِالإِخْوَانِ
مَا صَحَّ لِي أَحَدٌ أُصَيِّرُهُ أَخًا فِي اللهِ مَحْضًا أَو فَفِي الشَّيْطَانِ
إِمَّا مُوَلٍّ عَنْ وِدَادٍ مَا لَهُ وَجْهٌ ، وَإِمَّا مَنْ لَهُ وَجْهَانِ [2]

ويرى **أبو الحسن جعفر بن الحاج اللَّورَقِيّ** أن أصدقاءَ الرَّخَاء كَثِيرُونَ ؛ لأنهم لم يُخْتَبَرُوا ، ولكن عندما يَقَعُ المرءُ فِي شِدَّةٍ ، ويَخَافُ مِنْ شَيءٍ ما ، ويَطْلُبُ مَنْ يُسَانِدُهُ ، ويَبُثُّ الأَمْنَ فِي نَفْسِهِ ، لا يَجِدُ مِنْهُم نَاصِرًا ، وعندما

(١) ابن حَزْم الأَنْدَلُسِيّ : ديوان الإمام ابن حزم الظاهريّ ، تحقيق صبحي رشاد عبد الكريم ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ، ط١ ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م ، ص ٨٠ .

(٢) أبو العباس الجراوي : الحماسة المغربية ؛ مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، لبنان ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط١ ، ١٤١١هـ – ١٩٩١م ، ٢/١٣٩٤ – ١٣٩٥ .

يَفْتَقِرُ ويَطْلُبُ مَالاً ، لا يَجِدُ مَنْ يُعْطِيه ، وعِنْدَئِذٍ تَظْهَرُ مَعَادِن هَؤُلاء الأَصْدِقَاء، وتلك مفارقة الورطة ، يقول : (رَمَل)

كُلُّ مَنْ تَهْوَى صَدِيْقٌ مُمْحِضٌ لَكَ مَا لا تَتَّقِي أَوْ تَرْتَجِي

فَإِذَا حَاوَلْتَ نَصْرًا أَو جَدًا لَمْ تَقِفْ إِلاَّ بِبَابٍ مُرْتَجِ (١)

وكان **للجَزَّار السَّرَقُسْطِيّ** صديقٌ يَظُنُّهُ وَفِيًّا ، ويَرَاهُ سَيفًا مُدَافِعًا ، وتَطْمَئِنُّ نفسه إليه وبه ، وكانت مفارقة الورطة أنه عندما وقع في شِدَّة ، واختبره وَجَدَهُ يَتَتَبَّعُ عَثَرَاتُهُ ، وهو سعيدٌ ، ويُرَاقِبُ عُيُوبَه مُبْتَهِجًا ؛ فأدرك أَنَّ مَنِ اخْتَبَرَ صديقه رَأَى عَجَائِبًا ، لا تَخْطُرُ في بالِهِ ، وتلك مفارقة بين ما توقعه مِنْ وَفَاءٍ وإخلاص ، وما رآه مِنْ غَدْرٍ ومُخَادَعة ، يقول : (طويل)

أَخٌ كَانَ لِي قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّهُ دِلاصِي وَسَيفِي إِنْ نَحَانِيَ طَالِبُ

قَرَنْتُ بِهِ عَينًا ؛ فَلَمَّا بَلَوتُهُ إِذَا هُوَ يَبْغِي عَثْرَتِي وَيُرَاقِبُ

وَمَنْ مَحَصَ الإِخْوَانَ بِالخَبْرِ تَنْكَشِفْ بِخُبْرِهِمْ مِنْهُمْ إِلَيهِ عَجَائِبُ (٢)

وحَدَّثَ **أبو علي أحمد بن محمد بن القَاف الكاتب** صَدِيقَهُ الوَفِيَّ بِسِرٍّ ، وطَلَبَ مِنْهُ حِفْظَهُ ، ورَجَا كَشْفَ هَذَا الهَمَّ الثَّقِيلَ ، ولَكِنَّ هَذَا الصَّدِيق خَدَعَهُ ، وغَدَرَ به ، وأَذَاعَ سِرَّهُ بَينَ النَّاسِ ، كَالنَّارِ المُنْتَشِرَة في الهَشِيم في ظَلامِ اللَّيلِ البهيم ، وهنا وَجَدَ الشاعرُ (صانع المُفَارَقَة وضحيتها) نَفْسَهُ فِي ورطة ، يقول : (طويل)

حَدَّثْتُ خِلِّيَّ بِهَمٍّ رَجَوتُ مِنْهُ انْفِرَاجِي

وَكَانَ سِرِّي لَدَيهِ كَالنَّارِ ، وَاللَّيلُ دَاجِ (٣)

وأعرض **أُمَيَّة الداني** عن صديقه عندما ظَهَرَ خِدَاعَهُ ، وصَادَقَ غَيرَهُ ؛ فَوَجَدَهُ مِثْلَهُ ؛ فقد فَرَّ مِنَ الذِّئب الغادر إلى الأرقم مِنَ الحَيَّات ، وتلك مُفَارَقَة

(١) ابن سَعِيد : المُغْرِب ، ٢/٢٨٠ .

(٢) الجَزَّار السَّرَقُسْطِيّ : رَوضَة المَحَاسِن وعُمْدَة المُحَاسِن ، ص ٧١ – ٧٢ .

(٣) ابن القاف الكاتب : دِيوَان ابن القاف الكاتب ، ضمن كتاب (دِيوَان الشِّعْر الصَّقَلِّي) ، ص ٢٠١ .

الورطة ؛ لذا فالأَولَى به أن يعيش وحيدًا بعد أَنْ لَمْ يبقَ حَافِظُ خَلَّةٍ ، يقول : (طويل)

وَكُنْتُ إِذَا اسْتَبْدَلْتُ خِلاًّ بِغَيرِهِ كَمُسْتَبْدِلٍ مِنْ ذِئْبِ قَفْرٍ بِأَزْقَمِ (١)

لقد جَعَلَهُ الدَّهْرُ يُصَاحِبُ قومًا أَكْثَرُهُمْ حُبًّا له عَدُوٌّ مُقَاتل ؛ وهذه مُفَارَقَة الوَرْطَة ؛ مِمَّا جعله ينتهي إلى أنَّ الغُرْبَة ليست في بُعْد الدِّيَار ، ولكنها فِي قُرْبِ المُتَبَاغِضِينَ ، يقول : (طويل)

رَمَتْنِي صُرُوفُ الدَّهْرِ بَينَ مَعَاشِرٍ أَصَحُّهُمْ وُدًّا عَدُوٌّ مُقَاتِلُ

وَمَا غُرْبَةُ الإِنْسَانِ فِي بُعْدِ دَارِهِ وَلَكِنَّهَا فِي قُرْبِ مَنْ لا يُشَاكِلُ (٢)

ويعتمد **ابنُ خَفَاجَة الأَنْدَلُسِيّ** (ت٥٣٣هـ) على مَشَاهِد من الحياة الاجتماعية ، تُؤَثِّرُ في نفسه ؛ فَيَرْصُدها ويَعْرِضها في شعره لتؤثر في نفس القارئ (المُرَاقِب) ؛ فيشاركه في الدهشة والتحيُّر ؛ من أجل فَهْم هذا التَّنَاقُض ، يقول : (طويل)

تَعَوَّضْتُ مِنْ وَاهًا بِآهٍ ، وَمِنْ هَوًى بِهُونٍ ، وَمِنْ إِخْوَانِ صِدْقٍ بِخُوَّانِ (٣)

تغيير صَيحَة الإِعْجَاب إلى صُرَاخ التَّوَجُّع ، ولَذَّة الحُبّ إلى ألم الذُّلّ ، والأصدقاء الأوفياء إلى خائنين ، وَلَّدَ مُفَارَقَةَ الورطة .

وصَادَقَ **ابن بَقِيّ القُرْطُبِيّ** (ت٥٤٠هـ) أقوامًا يروغون رَوغَ الثعلب ، ولا يستفيدُ المرءُ منه خيرًا ، ولا يُقَصِّرُونَ في إفساد أمره ، وبُغْيَتهُمْ حَيرتُهُ وشَقَاؤُهُ ، فطِبَاعُهُمْ تَجْعَلُهُ حَائِرًا ؛ فهم يبتعدون بلا سبب ، ويُعْرِضُون دون مناسبة ، وخروج سُلُوك الصِّدِيق عن المألوف أَوقَعَ الشَّاعِرَ (ضحية المُفَارَقَة) في ورطة ، يقول : (طويل)

---

(١) أمية بن أبي الصلت الداني : ديوان الحَكِيم أَبِي الصَّلْت أُمَيَّة بْن عَبْد العَزِيز الدَّانِي ، ص ١٤٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣٢ .

(٣) ابن خفاجة : ديوان ابن خفاجة ، تحقيق السيد مصطفى غازي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م ، ص ٣٤٥ .

وَمَا أَكْثَرُ الأَقْوَامِ إِلاَّ ثَعَالِبًا تَرُوغُ وَلا يُجْلَي لَدَيهَا بِطَائِلِ
يَرُدُّونَ ذِهْنِي حَائِرًا فِي طِبَاعِهِمْ كَأَنَّهُمُ مِنْ مُشْكِلاتِ المَسَائِلِ (١)

ويؤكد **ابْن هَانِئ الأصغر** (ت قبل ٥٦٠هـ) أنه ذاق الظُّلْمَ على يد أصدقائه ، الذين تَوَقَّعَ منهم الصدق والوفاء ، ولَقِيَ الإنصاف مِمَّنْ لا يَعْرِفُهُ ، وهذا جعله مُتَعَجِّبًا ، وخرج بنتيجة مُفَادَها أنَّ العَدُو الحَقِيقيّ هو الصديق الذي أعرفه ، ومَنْ لا أعرفه هو الصديق الحقيقي ، وتلك مفارقة الورطة ، يقول : (رَمَل)

كُلُّ مَنْ أَعْرِفُهُ يَظْلِمُنِي وَسِوَى ذَاكَ فَعَنِّي يُنْصِفُ
فَعَدُوِّي كُلُّ مَنْ أَعْرِفُهُ وَصَدِيقِي كُلَّ مَنْ لا أُعْرِفُ (٢)

وتَحَدَّثَ **ابن لِيون التُّجِيبِيّ** عن عددٍ كبير من أصدقائه ، وكيف أنه صاحبهم ، وكنا نتوقع منه أن يقول : ولَقِيَ مِنْهُم ضُرُوب الهَنَاءِ ، ولكننا فوجئنا بأنه يقول : إنه صاحبهم وهو يكرههم ، وتَزْهَدُ فيهم نفسه ؛ فشعرنا بالتعجُّب ، وزاد تعجُّبُنَا في البيت الثاني حيثُ صَرَّحَ بأنه يخشى ، إِنْ هَجَرَهُمْ ، سُوءِ العَاقِبَة ؛ فلا بُدَّ من مُدَارَاتِهِمْ ، وعدم المُجَاهَرَة بِالعَدَاوة ؛ لأنهم لا يُؤتَمَنُونَ، وهذه مفارقة الورطة ؛ فإنَّكَ « إِنْ اسْتَرَحْتَ إلى مُصَارَمَتِهِمْ ادَّعَوا الخِبْرَةَ بِكَ لِطُولِ العِشْرَةِ لَكَ ؛ فَكَانَ كَذِبُ حَدِيثِهِمْ مُصَدَّقًا ، وَبَاطِلُهُمْ مُحَقَّقًا » (٣) ، يقول : (مجزوء الرجز)

كَمْ مِنْ أَخٍ صَحِبْتُهُ وَالنَّفْسُ عَنْهُ رَاغِبَهْ

(١) محمد مجيد السعيد : ابن بَقِيّ القُرْطُبِيّ ؛ حياته وشعره ؛ حياته وشعره ، مجلة المورد ، وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهوريَّة العراقيَّة ، المجلد السابع ، العدد الأول ، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م ، ص ١٤٠ .

(٢) العِمَاد الأَصْفَهَانِيّ : خَرِيدَة القَصْرِ وجَرِيدَة العَصْر ، قسم شعراء مصر ، نشره أحمد أمين ، شوقي ضيف ، إحسان عباس ، مركز تحقيق التراث ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م ، ٢٧٥/١ .

(٣) أبو حيان التوحيدي : الصداقة والصديق ، ص ١٨٤ .

خَشَيتُ ، إِنْ فَارَقْتُهُ بِالهَجْرِ ، سُوءَ العَاقِبَهْ (١)

وفي موضع آخر يتحدث عن إخوان الصفاء ، ونتوقعُ مِنْهُ أَنْ يخبرنا بصفة من صفاتهم ؛ فإذا به يقول إنهم الآن مُوَسَّدُونَ تَحْتَ التُّرَاب ، بعد أن أبادهم الدهر عن آخرهم ، ثم يؤكد أن إخوان هذه الأيام كالزمن ، يتسمون بالغدر والتقلُّب والمكر ، وتلك مُفَارَقَةُ الوَرْطَة ؛ فلا يمكنُ الاستغناء عن الصديق المُخْلِص ، ولكنه ليس له وجود ؛ فماذا يفعل الشاعر للخروج من هذه الورطة ؟ ، لقد أكد له التمرُّس بالحياة أنه مِنَ المُحَالِ العُثُور على الصديق المُخْلِص ؛ لأنه أَبْعَدُ مِنْ بَيضِ الأَنُوق ، وأَغْرَبُ مِنْ عَنْقَاءِ مُغْرِب ، وأَعَزُّ مِنَ الكِبْرِيتِ الأحمَرِ (٢) ، يقول : (سريع)

إِنْ تَبْغِ إِخْوَانَ الصَّفَاءِ فَهُمْ تَحْتَ التُّرَابِ انْتَقَلُوا لِلقُبُورْ

إِخْوَانُكَ اليَومَ كَأَزْمَانِهِمْ مُشْتَبِهُونَ فِي جَمِيعِ الأُمُورْ (٣)

ويبدي **عبدُ الكَرِيمِ القَيسِيّ** أسفه لأنَّ صَدِيقَهُ الذي كان يعتقد صِدْقَهُ فِي الإِخَاء ، وَجَدَهُ – عند الاختبار – كَاذِبًا فِي ادِّعَاءِ المَوَدَّة ، وبَذْلَهُ مَشُوبًا بِكَدَرٍ؛ لذا قَرَّرَ أَنْ يُعْرِضَ عَنْهُ ، ونرى الطباق بين (مَحْض الوِدَادِ) و(مَذْق الوِدَاد) ، يقول : (مجزوء الكامل)

وَبَذَلْتُهُ مَحْضَ الوِدَادِ وَكَانَ مِنْهُ البَذْلُ مَذْقَهْ (٤)

يبرزُ الشاعرُ سُلُوكًا مُخَالِفًا لِمَا يتوقعه من صديقه الأثير ؛ فهو يبذل محض الوفاء لصديقه ؛ من فَرْط حُبِّهِ له ، في حين أَنَّ صَدِيقَهُ يُعْطِيه مَوَدَّة غير خالصة ، مَمْزُوجة بما يُكَدِّرُهَا ، وتظهر المُفَارَقَة في أنَّ مَنْ نُقَدِّمُ له الحُبَّ الخَالِصَ يَجْدُرُ بِهِ أَنْ يُبَادِلَنَا الحُبَّ ، ولكنه يَرُدُّ على الحُبِّ بما يُنَاقِضُهُ مِنَ

(١) ديوان ابن لِيُونَ التُّجِيبيّ : ديوان ابن لِيُونَ التُّجِيبيّ ، ص ١٨٦ .
(٢) انظر : الميداني : مجمع الأمثال ، ١١٥/١ ، ٢٠١/١ ، ٤٤/٢ .
(٣) ديوان ابن لِيُونَ التُّجِيبيّ : ديوان ابن لِيُونَ التُّجِيبيّ ، ص ٢١٥ .
(٤) البسطي : ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي ، ص ٤١٤ .

الخِدَاع ؛ فتظهر غَفْلَةُ الشاعرِ ، الذي تَمَسَّكَ بالأخلاق الفاضلة ، وأحسن الظَّنَّ بصديقه ؛ فوقع في ورطة ، وجَنَى الخِذْلان والحَسْرَة ؛ لأنَّ القُرْبَ مِنْهُ شَرٌّ مُسْتَطِير ، وبَلاءٌ عَاجِل .

تتمثل مفارقة الورطة في أن الشاعر (صانع المُفَارَقَة وضحيتها) وَثِقَ بأحد أصدقائه ، وأسدى له الخير ، وانتظر منه المعاملة بالمِثْل ، وبالفعل قَدَّمَ له صديقه نوالاً ؛ وأوهمه بأنه يُحِبُّهُ ، ولكن التجربة أثبتت أنَّ هُنَاكَ غَرَضًا مَخْفِيًّا فعل ذلك من أجله ، وعندئذ عَرَفَ الشَّاعِرُ أنه وقع ضحية لهذا الصديق المخادع ، الذي أوقعه في ورطة ، وسَبَّبَ له جُرْحًا نَفْسِيًّا ، وجعل لسان حاله يُرَدِّدُ مِنْ فَرْطِ نَدَمِهِ : (يَا لَيتَنِي لَمْ أَتَّخِذْكَ خَلِيلا) .

وتُعَدُّ مفارقة الورطة أكثر أنواع المُفَارَقَة وُرُودًا في شكوى تَجَنِّي الصديق في الشعر الأندلسيّ .

الخَاتِمَةُ وَنَتَائِجُ البَحْثِ

طَلَبَ الشاعرُ الأندلسيُّ الأُنْسَ مِنْ صديقه ؛ فوجد الوَحْشَة ، وسَقَاهُ القَرَاحُ ؛ فَتَجَرَّعَ منه مُرَّ الغَيظ ؛ فاكتشف الشاعرُ المُحَافِظُ عَلَى حُقُوقِ الصَّدَاقة، أنَّ الصديقَ المُخَادِعَ (يُضْمِرُ الكُرْهَ) و(يُظْهِرُ الوُدَّ) ؛ ليجعل الشاعرَ (ضحية المُفَارَقَة) يَحَارُ في أمره بين (قُرْبِ اللِّسَانِ) و(بُعْدِ القَلْبِ) ، و(سَلامَة الظَّاهِر) و(فَسَاد البَاطِن) ، و(بَيَاضُ الوَجْهُ) و(سَوَادُ الضَّمِيرِ) ، و(حُسْن القَول) و(سُوء الفِعْل) .

وكَشَفَ البحثُ عن تَوَفُّرِ الحِسِّ المُفَارِقي لدى شعراء الأندلس ؛ مِمَّا يُفْصِحُ عَمَّا اتَّسَمَتْ به الشخصيَّة الأندلسيَّة مِنْ مَيلٍ مَلْحُوظ إلى المَرَحِ والدُّعَابَة، وجاءت شكوى تَجَنِّي الصديق في إطار النقد الاجتماعيّ ، الذي يُظْهِرُ مُفَارَقَاتٍ ساخرة ، قَدَّمَهَا الشاعرُ الأندلسيُّ فِي حُلَّةٍ هَازِئَة .

وغاية مُفَارَقَة الموقف رصد غدر الصديق ، وإظهار خداعه ، وهو أمر يدل على انهيار منظومة القيم الأخلاقية في المجتمع الأندلسيّ ، إنها مفارقة اجتماعيَّة ، لها غاية أخلاقيَّة ؛ فهي تصبو إلى تهذيب الأخلاق ، والقضاء على الخِدَاع .

وقد عَانَى شُعَرَاءُ الأندلس من خيانة الصديق ؛ مِمَّا جعلهم يَشْعُرُونَ بالغُرْبَة النفسيَّة ، وجعل الشاعرُ نَفْسَهُ ضَحِيَّة ، وأسند غفلته إلى التمسُّك بالقيم الأخلاقية ، وفي المقابل جعل صورة الصديق الغادر مخالفة للعُرْف السائد .

وترتكز مفارقة الموقف في شكوى تَجَنِّي الصديق في الشِّعْر الأندلسيّ على أن ما حَدَث على خلاف ما يُتَصَوَّر ؛ فالشاعرُ يَتَوَقَّع من صديقه الإكرام، والنُّصْرَة ، والوفاء ، والبَذْل ، والمَوَدَّة ، والإقبال ، وإقالة العثرة ، وكَتْم العيوب ؛ فيجدُ مِنْهُ الإهانة ، والخِذْلان ، والغدر ، والبُخْل ، والجفاء ، والإعراض ، وتَتَبُّع العَثْرَة ، وفَضْح العُيُوب ، وهذا الأمر غير محتمل الحُدُوث بالنسبة إلى الشاعر، وفيه كَسْر أُفُق الانتظار ، فَضْلاً عن الإدهاش ، والمُفَاجَأة ، إن الاصطدام بين المُسْتَوَيَين المُتَنَاقِضَين يُوَلِّدُ مُفَارَقَةَ المَوقِف ، التي رَمَتْ إلى

وَصْم الصَّدِيقِ الغادر بالخِسَّة ، واللُّؤْم ، والخيانة ، ونَقْض الذِّمَام ، وغيرها من الصفات المُسْتَقْبَحة .

ويمكن تقسيم مُفَارَقَة الموقف في شكوى تجني الصديق في الشعر الأندلسيّ ، تبعًا لتقسيم ميويك ، إلى خمسة أنماط : مُفَارَقَة التنافُر البسيط ، ومُفَارَقَة الأحداث ، والمُفَارَقَة الدِّرَامِيَّة ، ومُفَارَقَة خِدَاع النَّفْس ، ومُفَارَقَة الورطة.

وعَرَضَتْ مُفَارَقَةُ التنافُر البسيط نَمَطًا سُلُوكيًّا يُخَالِفُ القِيَم الأخلاقيَّة ، ويُغَايِرُ ثَقَافَةَ المُجْتَمَعِ ؛ من أجل إثارة تعجُّب القارئ (المُرَاقِب) .

وتَوَلَّدَتْ مُفَارَقَةُ الأحداثِ من التضاد بين حَدَثَينِ مُخْتَلِفَينِ ، كلٌّ منهما مُسْتَقِلٌّ عن الآخر ، ولا يستطيعُ أَيٌّ مِنَ الحَدَثَينِ توليد المُفَارَقَة إلا في وجود الآخر ، وكَشَفَتْ عن خَيبَةِ أَمَلِ الشاعر في صديقه ، الذي وَثِقَ بِهِ ، وقَدَّمُ له الإخاء والمودَّة ، ووَجَدَ منه الخِذْلان والجُحُود ؛ فكانَ الأَولَى أَنْ يُكَافِئَ عَلَى الإِحْسَانِ بِمِثْلِهِ ، ولكن سَرَتِ الأُمُورُ على خِلافِ المُتَوَقَّعَ .

وقامت المُفَارَقَةُ الدراميَّةُ على الانقلاب المُفَاجِئِ للأحداث ، وتغيُّر سيرها تَغْيِيرًا جِذْرِيًّا بسبب حدث طارئ ، وتَوَفَّرَ فيها عُنْصُرُ التَّوَتُّر من خلال الشخصية التي تَتَّسِمُ بالغفلة ، وهي الشاعر ، في مُقَابِلِ شخصيَّة الصديق الغادر ، التي تتعارض مع القِيَم السامية ، والأعراف الاجتماعيَّة ، وعندما يَنْكَشِفُ لُؤْمَها ، يَجْتَمِعُ سُلُوكٌ يُفْتَرَضُ الشُّكْر عليه وهو الإكرام ، مع سُلُوكٍ آخر يَتَّسِمُ بالخِسَّة ، ولا تربطه بمنطق الأشياء صِلَة .

وحينما يَكْتَشِفُ الشاعرُ بشكل – غير واعٍ – جَهْلَهُ أو ضَعْفَهُ أو خَطَأَهُ أو حَمَاقَتَهُ بما يقول أو بما يفعل ، تَحْدُث مُفَارَقَةُ خِدَاع النَّفْس ، التي ترتبط بالحُصُول على معرفة تُسَاعِدُ عَلَى اكتشاف زَيفِ الصَّدِيقِ المُرَاوِغ ، الذي يُظْهِرُ غَيرَ ما يُبْطِنُ ، لقد اختلفت طبيعة المُخَادَعَة هُنَا ، وتَوَجَّهت إلى النفس ، بَدَلاً مِنْ تَوَجُّهِهَا إلى الآخر ؛ لذا تَمِيلُ هذه المفارقة إِلَى أَنْ تَكُونَ مَأْسَاوِيَّة .

ووجدنا في مُفَارَقَة الورطة مُسْتَوَيَانِ : المُسْتَوَى الأدنى ، يُمَثِّلُهُ ضحية المُفَارَقَة ، والمستوى الأعلى ، يُمَثِّلُهُ صاحب المُفَارَقَة ، وهذانِ المستويانِ يتعارض أحدهما مع الآخر ؛ حيث تأخذ المُفَارَقَة فيه شكل الورطة ،

أو التناقض الظاهري أو المنطقيّ ، وتَوَلَّدَتْ هذه المُفَارَقَة من الخطأ في فَهْم صانع المُفَارَقَة (الشاعر) لِمَا يُحِيطُ بِهِ ، ووقوعه في وَرْطة مُفَاجِئَة لَمْ يَحْتَسِبْهَا ؛ نتيجة سُوء اختياره للصديق ، وفَرْط ثِقَتِه التي أودعها في غير مَحَلِّهَا ؛ حيثُ جَنَى الشاعرُ على نفسه من حيثُ لا يدري ؛ فوقع في مفارقة الورطة التي كشفت جهله وغفلته ، وكانت مفارقة الورطة أكثر أنواع المفارقات وُرُودًا في شكوى تَجَنِّي الصديق في الشعر الأندلسي .

ولم تكن مُفَارَقَة الموقف عند شعراء الأندلس عُنْصُرًا بَارِزًا تَجَلَّى في شكوى تَجَنِّي الصديق في الشعر الأندلسي فحسب ، بل كانت أيضًا طريقة لرؤية علاقة الصداقة في المجتمع الأندلسيّ ، أي أنها كانت إستراتيجية تحاول أن تفهم الصديق المخادع ؛ حيثُ رَمَتْ بشعراء الأندلس إلى لحظة الصِّفر المعرفية ؛ حَتَّى باتوا حائرين يَشُكُّون في القيم الأخلاقية .

وأوصي بعمل بحث عن (علاقة التضاد في وصف الصديق في الشعر الأندلسيّ) ، وهو جانبٌ لم يُدْرَس بَعْد .

المَصَادِرُ والمَرَاجِعُ

أولا : المَصَادِر :

*** ابن الأَبَّار القُضَاعيّ – أَبُو عَبْد الله مُحَمَّد بْن عَبْد الله بْن أَبِي بَكْر البلنسيّ (ت٦٥٨هـ) :**

١- المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٨م .

٢- إِعْتَاب الكُتَّاب ، حَقَّقَهُ وعَلَّقَ عليه وقَدَّمَ له صالح الأشتر ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ط١ ، ١٣٨٠هـ – ١٩٦١م .

*** ابن بَسَّام الشَّنْتَرِينيّ – أبو الحسن عليّ (ت٥٤٢هـ) :**

٣- الذَّخِيرَة في محاسن أهل الجَزِيرَة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ط١ ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

*** ابن حَزْم الأَنْدَلُسِيّ – أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ):**

٤- الأخلاق والسِّيَر فِي مُدَاوَاةِ النُّفُوسِ ، قرأه وضبط نصه وخرج أحاديثه طارق بن عبد الواحد بن علي ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، ط ٢ ، ١٤٣٨هـ – ٢٠١٧م .

٥- ديوان الإمام ابن حزم الظاهريّ ، تحقيق صبحي رشاد عبد الكريم ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ، ط١ ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

*** ابن حَمْدِيس الصَّقَلِيّ – أبو مُحَمَّد عَبْد الجَبَّار بْن أَبِي بَكْر بْن حَمْدِيس (ت ٥٢٧هـ) :**

٦- ديوان ابن حَمْدِيس ، صححه وقدم له إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م .

*** ابن خَاتِمَة الأَنْصَارِيّ – أبو جعفر أحمد بن علي (ت٧٧٠هـ) :**

٧- ديوان ابن خَاتِمَة الأَنْصَارِيّ ؛ ورسالة (الفصل العادل بين الرقيب والواشي والعاذل) ، حققه وشرحه وقَدَّمَ له محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط١ ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .

*** ابـن خَاقَـان – أبـو نصـر الفـتح بـن محمد بـن عبيـد الله القيسـيّ الإشـبيليّ (ت٥٣٥هـ) :**

٨- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ، حَقَّقَهُ وعَلَّق عليه حسين يُوسُف خريُوش ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط١ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٩- مَطْمَح الأَنْفُس وَمَسْرَح التَّأَنُّس فِي مُلَح أَهْلِ الأَنْدَلُس ، دراسة وتحقيق محمد على شوابكة ، منشورات دار عمار ومؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

***ابـن الخَطِيـب – لِسَـان الـدين أبـو عبـد الله محمد بـن عبـد الله بـن سـعيد (ت٧٧٦هـ) :**

١٠- دِيوَان لِسَان الدِّين بْن الخَطِيب السَّلْمَانِي ، تحقيق محمد مفتاح ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

*** ابن خَفَاجَة - أبو إسحاق إبراهيم (ت٥٣٣هـ) :**

١١- ديوان ابن خَفَاجَة ، تحقيق السيد مصطفى غازي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م .

*** ابن دَرَّاج القَسْطَلِّيّ – أبو عمر أحمد بن محمد بن دَرَّاج (ت٤٢١هـ) :**

١٢- ديوان ابن دَرَّاج القَسْطَلِّيّ ، حققه وعلق عليه وقدم له محمود علي مكي ، منشورات المكتب الإسلامي ، دمشق ، ط١ ، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م .

*** ابن رَشِيق القَيرَوَانِيّ – أبو عليّ الحسن (ت٤٥٦هـ) :**

١٣- ديوان ابن رَشِيق القَيرَوَانِيّ ، جمعه ورَتَّبَهُ عبد الرحمن ياغي ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

*** ابن زَيدُون- أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن غالب (ت٤٦٣هـ):**

١٤- ديوان ابن زيدون ورسائله ، شرح وتحقيق علي عبد العظيم ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .

*** ابن سارة الشَّنْتَرِينيّ – أبو محمد عبد الله بن محمد (ت٥١٧هـ) :**

١٥- ابن سارة الأندلسي ؛ حياته وشعره ، مصطفى عوض الكريم ، مطبعة مصر ، السودان ، ١٩٨٥م .

*** ابن سَعِيد الأَنْدَلُسِيّ – أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك (ت٦٨٥هـ) :**

١٦- المُغْرِب فِي حُلَى المَغْرِب ، حَقَّقَهُ وعَلَّقَ عليه شوقي ضيف ، سلسلة ذخائر العرب رقم (١٠) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٩٣م .

*** ابن عَاصِم الغَرْنَاطِيّ – أبو يحيى محمد (ت٨٥٧هـ) :**

١٧- جنة الرضا في التسليم لِمَا قَدَّرَ اللهُ وقضى ، تحقيق صلاح جرار ، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ١٩٨٩م

*** ابن عبد رَبِّه الأندلسيّ – أبو عمر أحمد بن محمد (ت٣٢٨هـ) :**

١٨- ديوان ابن عبد ربه ، جمعه وحققه وشرحه محمد رضوان الداية ، المكتبة الأندلسية (١٠) ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

*** ابن فَارِس – أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزوينيّ (ت٣٩٥هـ) :**

١٩- معجم مقاييس اللغة ، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، القاهرة ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

*** ابن الكِتَّانيّ الطَّبِيب – أبو عبد الله محمد بن الحسن (ت٤٢٠هـ) :**

٢٠- التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٦م .

*** ابن اللَّبَانَة – أَبُو بَكْر مُحَمَّد بْن عِيسَى بْن مُحَمَّد اللَّخْمِي الدَّانِي (ت٥٠٧هـ) :**

٢١- ديوان ابن اللبانة الداني ؛ مجموع شعره ، جمع وتحقيق محمد مجيد السعيد ، دار الراية للنشر والتوزيع ، عمان ، المملكة الأردنية الهاشمية ، ط٢ ، ٢٠٠٨م .

*** ابن لِيونَ التُّجِيبيّ – أبو عثمان سعد بن علي بن إبراهيم (ت٧٥٠هـ) :**

٢٢- ديوان ابن لِيُونَ التُّجِيبيّ ، ضمن كتاب (دواوين شعرية لشعراء أندلسيين) ، دراسة وتحقيق هدى شوكت بهنام ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م .

*** ابن المِلْح – أبو بكر محمد بن إسحاق اللخميّ (ت٥٠٠هـ) :**

٢٣- شعر ابن المِلْح أبي بكر محمد بن إسحاق اللخميّ ، ضمن كتاب (شعراء أندلسيون) ، محمود محمد العامودي ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، فلسطين ، ط١ ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .

*** أمية بن أبي الصلت بن عبد العزيز الداني (ت٥٢٩هـ) :**

٢٤- ديوان الحَكِيم أَبِي الصَّلْت أُمَيَّة بْن عَبْد العَزِيز الدَّانِي ، جمع وتحقيق وتقديم محمد المرزوقي ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٧٤م .

*** البسطي – عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القيسي (ت في أواخر ق ٩ هـ) :**

٢٥- ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي ، تحقيق جمعة شيخة ومحمد الهادي الطرابلسي ، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة) ، تونس ، ١٩٨٨م .

*** الجَزَّار السَّرَقُسْطِيّ – أبو بكر يحيى بن محمد (ت٥١٥هـ) :**

٢٦- رَوضَة المَحَاسِن وعُمْدَة المُحَاسِن ، ديوان الجَزَّار السَّرَقُسْطِيّ ، وفصول من كتابه (بادرة العصر وفائدة المصر) ، صنعة أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مطروح السرقسطي (ت٦٠٦هـ) ، تحقيق ودراسة واستدراك منجد مصطفى بهجت ، جدارا للكتاب العالمي ، عمان ، الأردن ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ٢٠٠٨م .

*** الجَزِيرِيّ – أَبُو مَرْوَان عَبْد المَلِكِ بْن إِدْرِيسَ الأَزْدِيّ (ت٣٩٤هـ) :**

٢٧- شعر أبي مَرْوَان الجَزِيرِيّ الأَنْدَلُسِيّ ، جمع أحمد عبد القادر صلاحية ، دار الشروق ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٧م .

*** الحُصْرِيّ القَيرَوَانِيّ – أبو الحسن عليّ بن عبد الغني (ت٤٨٨هـ) :**

٢٨- ديوان أبي الحسن الحصري القيرواني ، جمع وتحقيق محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى ، مكتبة المنار ، تونس ، ١٩٦٣م .

*** أبو حَيَّان التوحيديّ – عَلِيّ بن مُحَمَّد بن العَبَّاس (ت٤١٤هـ) :**

٢٩- الصداقة والصديق ، تحقيق إبراهيم الكيلاني ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، دمشق ، سُورِيَة ، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .

*** أبو حَيَّان الأندلسيّ – أثير الدين مُحَمَّد بن يُوسُف بْن عَلِي بْن يُوسُف (ت٧٤٥هـ) :**

٣٠- ديوان أبي حَيَّان الأندلسيّ ، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط١ ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م .

*** الزَّمَخْشَرِيّ – أبو القاسم مَحْمُود بن عُمَر بن أَحْمَد (ت٥٣٨هـ) :**

٣١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق وتعليق ودراسة عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ، شارك في تحقيقه فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م .

*** السُّمَيسِر – أبُو القَاسِم خَلَف بن فَرَج الإِلْبِيرِيّ (ت بعد ٤٨٨هـ) :**

٣٢- ديوان السميسر ، ضمن كتاب (شعراء أندلسيون منسيون) ، فوزي عيسى ، من تراثنا الشعري (٩) ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، الكويت ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ط١٠ ، ٢٠٠٩م .

*** أبو العباس الجراوي – أحمد بن عبد السلام التادلي (ت٦٠٩هـ) :**

٣٣- الحماسة المغربية ؛ مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، لبنان ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط١ ، ١٤١١هـ – ١٩٩١م .

*** عبد القَاهِر الجُرْجَانِيّ – أبو بكر بن عبد الرحمن (ت٤٧١هـ) :**

٣٤- أسرار البلاغة ، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدنى ، القاهرة ، دار المدني ، جدة ، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م .

*** أبو عبد الله بن عسكر(ت٦٣٦هـ) وأبو بكر بن خميس (ت بعد٦٣٩هـ) :**

٣٥- أعلام مَالَقَة ، تقديم وتخريج وتعليق عبد الله المرابط الترغي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، دار الأمان للنشر والتوزيع ، زنقة المامونية ، الرباط ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

*** العسكريّ - أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت٣٩٥هـ) :**

٣٦- كتاب الصناعتين ؛ الكتابة والشعر، تحقيق على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧١م .

٣٧- الفُرُوقُ اللُّغَوِيَّة ، تحقيق محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٨م .

*** العِمَاد الأَصْفَهَانِيّ - أبو عبد الله محمد بن محمد بن عليّ (ت٥٩٧هـ) :**

٣٨- خَرِيدَة القَصْرِ وجَرِيدَة العَصْر ، قسم شعراء مصر ، نشره أحمد أمين ، شوقي ضيف ، إحسان عباس ، مركز تحقيق التراث ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

*** فوزي عيسى :**

٣٩- دِيوَان الشِّعْر الصَّقَلِّي ، جمع وتحقيق فوزي عيسى ، من تراثنا الشعري (١) ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، الكويت ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ط١ ، ٢٠٠٧م .

*** مِسْكَوَيه - أَبُو عَلِيّ أحمد بن محمد بن يعقوب (ت٤٢١هـ) :**

٤٠- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، حققه وشرح غريبه ابن الخطيب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

*** المعتمد بن عباد - أبو القاسم محمد بن عباد (ت٤٨٨هـ) :**

٤١- ديوان المعتمد بن عباد ؛ ملك إشبيلية ، تحقيق حامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي ، راجعه طه حسين ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ط٤ ، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م .

*** المقَّرِيّ التِّلِمْسَانِيّ – أبو العباس أحمد بن محمد (ت١٠٤١هـ) :**

٤٢- نَفْحُ الطِّيبِ مِنْ غُصْنِ الأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م .

*** الميداني – أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري (ت٥١٨هـ) :**

٤٣- مجمع الأمثال ، تحقيق مُحَمَّد مُحِيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السُّنَّة المُحَمَّدِيَّة ، القاهرة ، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م ، ٦٧/٢ .

*** أَبُو نَصْر الفَارَابِي – مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن طرخان (ت٣٣٩هـ) :**

٤٤- مجموع في السياسة ، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ط ١ ، د . ت .

ثانيًا : المَرَاجِعُ العَرَبِيَّة :

*** حسن حماد :**

٤٥- المفارقة في النص الروائي ؛ نجيب محفوظ نموذجًا ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٥م .

*** حسين خمري :**

٤٦- فضاء المتخيل ؛ مقاربات في الرواية ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط١ ، ٢٠٠٢م .

*** خالد سليمان :**

٤٧- نظرية المفارقة ، سلسلة الآداب واللغويات ، مجلة أبحاث اليرموك ، جامعة اليرموك ، المجلد التاسع ، العدد الثاني ، ١٩٩١م .

*** سعيد شوقي :**

٤٨- بناء المفارقة في المسرحية الشعرية ، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠١م .

*** زكريا إبراهيم :**

٤٩- مشكلة الحياة ، مجموعة مشكلات فلسفية (٧) ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٧١م .

* **عز الدين إسماعيل :**

٥٠- الشعر العربي المعاصر ؛ قضايا وظواهره الفنية والمعنوية ، دار الفكر العربي ، العربي ، القاهرة ، ط٣ مزيدة ومنقحة ، ١٩٦٦م .

* **فاروق شوشة ، محمود علي مكي :**

٥١- معجم مصطلحات الأدب ، التحرير والمراجعة اللغوية سميرة صادق شعلان ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

* **محمد العبد :**

٥٢- المفارقة القرآنية ؛ دراسة في بنية الدلالة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م .

* **مراد وهبه :**

٥٣- المعجم الفلسفي ، دار قباء الحديثة ، القاهرة ، ٢٠٠٧م .

* **ميشيل حنا متياس :**

٥٤- الصداقة قيمة أخلاقية مركزية ، ترجمة ميشيل حنا متياس ، سلسلة عالم المعرفة (٤٤٤) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، يناير ٢٠١٧م .

* **ناصر شبانة :**

٥٥- المفارقة في الشعر العربي الحديث (أمل دنقل - سعدي يوسف - محمود درويش) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م .

* **ناصر الدين أبو حماد :**

٥٦- تعديل السلوك الأناني وأساليب حل المشكلات السلوكية ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ١١ ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

ثالثًا : المَرَاجِعُ الأَجْنَبِيَّة المُتَرْجَمَة :

*** أرسطوطاليس :**

٥٧- علم الأخلاق إلى نيقوماخوس ، ترجمه من اليونانية إلى الفرنسية بارتلمي سانتهلير ، نقله إلى العربية أحمد لطفي السيد ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م .

*** أفلاطون :**

٥٨- جمهورية أفلاطون ، دراسة وترجمة فؤاد زكريا ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ٢٠٠٤م .

*** ميويك :**

٥٩ - المُفَارقَة ، موسوعة المصطلح النقدي ، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م .

*** ويليك ، رينيه :**

٦٠- تاريخ النقد الأدبي الحديث (١٧٥٠- ١٩٥٠) ، العصر الرومانسيّ ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، المشروع القومي للترجمة (٦٣) ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٩م .

رابعًا : الدَّورِيَّات :

*** أحمد محمد ويس :**

٦١- الانزياح وتعدد المصطلح ، مجلة عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، المجلد الخامس والعشرون ، العدد الثالث ، يناير - مارس ١٩٩٧م .

*** أمينة رشيد :**

٦٢- المفارقة الروائية والزمن التاريخي ، مجلة فصول ؛ مجلة النقد الأدبي ، عدد خاص عن (زمن الرواية - الجزء الأول) ، المجلد الحادي عشر ، العدد الرابع ، شتاء ١٩٩٣م .

*** حسين يوسف خريوش :**

٦٣- الحاجب المصحفي ؛ حياته وآثاره الأدبية ، حوليات كلية الآداب ، الحولية (١٩) ، الرسالة (١٣٣) ، مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

*** سيزا قاسم :**

٦٤- المُفَارَقَة في القص العربي المعاصر ، مجلة فصول ؛ مجلة النقد الأدبي ، عدد خاص عن (الرواية وفن القص) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، المجلد الثاني ، العدد الثاني ، يناير - فبراير - مارس ١٩٨٢م.

*** فايز مد الله الذنيبات :**

٦٥- المُفَارَقَة القَائِمَة عَلَى مُخَالَفَةِ العُرْفِ ؛ دراسة تحليلية لنماذج من الشعر العربي ، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة ، المجلد (١٧) ، عدد ٢ (A) ، ربيع الثاني ١٤٤٢هـ - ديسمبر ٢٠٢٠م .

*** كلنث بروكس :**

٦٦- لغة المفارقة ، ترجمة أبي حسين محمد بن منصور ، مجلة الدارة ، دارة الملك عبد العزيز المملكة العربية السعودية ، المجلد (١٦) ، العدد (٢)، ١٩٩٠م .

*** محمد العمري :**

٦٧- بلاغة السخرية الأدبية ، مجلة علامات في النقد ، النادي الثقافي ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، مج (٥) ، ج (٢٠) ، صفر ١٤١٧ هـ - يونيو ١٩٩٦م .

*** محمد مجيد السعيد :**

٦٨- ابن بَقِيّ القُرْطُبِيّ ؛ حياته وشعره ؛ حياته وشعره ، مجلة المورد ، وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهوريَّة العراقيَّة ، المجلد السابع ، العدد الأول ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

*** نبيلة إبراهيم :**

٦٩- المفارقة ، مجلة فصول ؛ مجلة النقد الأدبي ، عدد خاص عن (قضايا المصطلح الأدبي) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، المجلد السابع ، العددان الثالث والرابع ، إبريل – سبتمبر ١٩٨٧م .

خَامِسًا: الرسائل الجامعية :

*** صفوان سلمان قسام :**

٧٠- ارتياد الطلبة لمواقع الإنترنت الاجتماعية ، وعلاقته باتجاههم نحو الصداقة ؛ دراسة ميدانية لطلبة جامعة دمشق ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة دمشق ، ٢٠١٣م .

سَادِسًا: المراجع الأجنبية :

(71) Bakalim Orkide &Karçkay, Arzu Taşdelen ,Friendship Quality and Psychological Well Being : The Mediating Role of Perceived Social Support , International Online , Journal of Education Sciences , 2016 .

(72)Fehr,Beverley:Friendship processes.Sage Publications, International educational and Professional Publisher, Thousand Oaks London New Delhi , 1996.

(73)Kierkegaard, S: The Concept of Irony: with Continual Reference to Socrates, Edited and translated with introduction and Notes by Howard V. Hong and Edna H. Hong, Princeton University, Press, 1989 .

(74)Maroney, Sharon : A Closer look at friendship , Western Illinois University, 2005.

(75)Mohammad ,H : Time in The Wilderness, trans Andintro by M. Enani, General Egyptian Book Organization, Cairo, 2000 .

(76) Muecke ,D, C : The compass of Irony, Methuen , London & New York , ed ,1980.

(77)Ramson, O : Friendship in Sills (ed), The International Encyclopedia of the Social Sciences , 1987 .